٧٤٣

مدارس التجديد
للشعر العربى الحديث

الدكتور

حنفى محمود مصطفى

أستاذ الأدب والنقد المساعد بالكلية

المقدمة

لقد مر الشعر العربى بفترة من أضعف الفترات التى أدت إلى خموله بعد ازدهاره ، وإلى ضعفه بعد قوته ، وإلى انحطاطه بعد ارتقائه ، وبخاصة فى عهد العثمانيين الذين اشتد حرصهم على دك صروح المعرفة والثقافة العربية التى شادتها سواعد أبنائها فى مختلف العصور السابقة .

ومن ثم ، فقد بلغ الشعر غاية من الركود والانحدار ، حتى أصبح الشاعر فى تلك الفترة لا يهمه التعبير عن نفسه ، وعن حالة عصره بقدر ما يهمه أن يثقل ألفاظ نظمه بضروب من التزيين والتحلية ، كالجناس والطباق والتورية ، وغير ذلك من ألوان البديع ، واستمر الحال على ذلك حتى قيض له المولى - عز وجل - من يفكه من قيوده البديعية الغليظة ، وأغراضه الضيقة المحصورة المبتذلة ، ويثب به وثبة تصله بروائعه القديمة ، وصياغتها المحكمة الكاملة ، وترقى به إلى مرتبة الشعر الرفيع الذى يمتع القلوب والعقول والأفئدة .

فمن هذا المنطلق ، فقد جاء هذا البحث المتواضع من خمسة مباحث تسبقهم مقدمة ، وتعقبهم خاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع .

المبحث الأول : الشعر قبل حركة التجديد فى العصر الحديث :

تناولت فيه الحالة التى وصل إليها شعرنا العربى بسبب اعتماد بعض الشعراء على المحسنات البديعية التى كانت سببًا فى ضعفه وركاكته .

المبحث الثانى : مدرسة البعث والإحياء :

تحدثت فى هذا المبحث عن رائد هذه المدرسة الشاعر محمود سامى البارودى ، ثم تناولت بعض مظاهر تقليده كمعارضته الفحول بعض الشعراء

السابقين ، وكذلك بعض مظاهر تطوره وتجديده فى بعض الفنون الشعرية القديمة وفى موسيقا شعره .

المبحث الثالث : المدرسة الاتباعية (الكلاسيكية) الجديدة :

وجاء الحديث فى هذا المبحث عن أمير الشعراء أحمد شوقى ، ومظاهر تطوره وتجديده فى بعض أغراض الشعر التقليدية تارة ، والفنون الشعرية المستحدثة تارة أخرى .

المبحث الرابع : مدرسة الديوان :

تحدثت فيه عن الأديب العملاق عباس محمود العقاد ، وأبرزت قدراته الفنية على التطور والتجديد فى بعض الموضوعات التقليدية ، وكذلك فى بعض الموضوعات المستحدثة فى عصره ، ثم أردفت هذا بالحديث عن رفيقه الشاعر عبد الرحمن شكرى ومدى تطوره وتجديده فى وصفه ، وفى تشاؤمه من الحياة والأحياء ، وأيضًا فى شعره التأملى والقصصى وغيرهما .

المبحث الخامس : جمعية أبولو ومجلتها :

وجاء حديثى فى هذا المبحث عن رائد هذه الجمعية الشاعر أحمد زكى أبو شادى ، ومظاهر تجديده فى بعض الفنون الشعرية ، كوصف الطبيعة ، والشعر الوجدانى والوطنى والقصصى والتمثيلى وغيرهم .

ثم أنهيت هذا البحث بخاتمة تحتوى على النتائج التى توصلت إليها من خلال دراستى بعض النماذج الشعرية الواردة بدواوين بعض شعراء المدارس التجديدة الحديثة الذين أسهموا بقدر غير قليل فى تطور شعرنا العربى الحديث وتجديده .

هذا وبالله التوفيق .

د / حنفى محمود مصطفى

المبحث الأول

"شعر قبل حركة التجديد فى العصر الحديث

على رغم ما أحدثته الحملة الفرنسية من تغيير واضح فى الحياة المصرية ، إلا أن الشعر ظل بصورته التى كان عليها فى العصر العثمانى ؛ وذلك لأن الشعراء ظلوا " ينظمون الشعر متأثرين بنماذجه فى العصر العثمانى الذى ضعفت فيه البلاغة العربية ، واضطربت فيه الأذواق الأدبية ، وفسدت فيه الملكات ، وغلب فيه على الشعراء الركاكة ، والابتذال ، والمحسنات البديعية اللفظية التى يتطلبها المعنى ، ولا يستدعيها المقام ، ولا يستفيد منها القارئ شيئًا " [1] .

ولتوضيح صورة الشعر فى تلك الفترة نأتى ببعض النماذج الشعرية التى أثرت عن بعض الشعراء الذين ظلوا مكبلين بقيود الزخارف اللفظية ، كالشاعر إسماعيل الخشاب الذى مدح أبا الأنوار السادات بقوله [2] :

لا ينكرون على القول ذو حسد ∴ فالمرء بالصدق لا بالإفك مفتخر

إشراق نور أبى الأنوار دام لنا ∴ على القلوب سناه إن بدا ظهروا

السيد الوارث المختار من مضر ∴ من فضله زاد إعجابًا له مضر

للطهر منتسب للمدح مكتسب ∴ للدين منتدب لله منتصر

به هدينا سبيل الرشد سنة منه ∴ قد كان للهدى والإرشاد يبتدر

والصبح يجلو ظلام الليل مشرقه ∴ والشمس أكسب إشرافًا به القمر

ألفاظه الشافيات الصدر أجمعها ∴ اللؤلؤ الرطب منظوم ومنتشر

---

(١) الأدب العربى الحديث - د / محمد عبد المنعم خفاجى ١ / ٣٧ - مطبعة مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) ديوان الخشاب ص ٣٠ - مطبعة الجوائب بالآستانة ١٨٨٢ م .

يعطى الجزيل بلا منٍّ يكدره ∴ على العفاة ويعفوا حين يقتدر

فمن خلال هذه الأبيات يتضح لنا ما اعتمد عليه الشاعر من ألوان بلاغية ، كالجناس الوارد فى البيت الثانى بين كلمة (نور) وبين اسم الممدوح (أبى الأنوار) ، وكذلك الترصيع الماثل فى البيت الرابع ، والذى توخى فيه الشاعر تغيير مقاطع الأجزاء على السجع ، وأيضًا الجناس الناقص كما هو واضح فى كلمتى (منتدب) و (مكتسب) ، وكذلك التورية الواردة فى البيت السابع فى كلمتى (منظوم) و (منثور) إذا ما اعتبرناها مرتبطة باللؤلؤ ، أو مرتبطة بألفاظ الممدوح ، وغير ذلك من الصور المكررة التى تشعرك بعاطفة الشاعر ، ولا بمشاعره الحقيقية تجاه ممدوحه .

كما تجد مثل هذا أيضًا فى شعر الشيخ حسن العطار الذى وصف بركة الأزبكية بقوله [1] :

بالأزبكية طابت لى مسرات ∴ ولذّ لى من بديع الأنس أوقات

حيث المياه بها والفلك سابحة ∴ كأنها الزهر تحويها السموات

وقد أديرت بها دور مشيدة ∴ كأنها لبدور الحسن هالات

مدت عليها الروابى خضر سندسها ∴ وغردت فى نواحيها حمامات

ومع استخدامه لبعض الألوان البديعية فقد عده بعض الأدباء المحدثين " من أحسن شعراء عصره ديباجة ، واقلهم تكلفًا " [2] .

وهناك العديد من الشعراء الذين ساروا على هذا المنهج كالشيخ حسن قويدر ، والسيد على الدرويش ، وشهاب الدين المصرى ، وغيرهم من شعراء تلك

---

(١) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى - تحقيق / حسن محمد جوهر ، و د / عمر الدسوقى ٥ / ١١٦ - مطبعة لجنة البيان العربى .

(٢) فى الأدب الحديث - د / عمر الدسوقى ١ / ٦٢ - مطبعة دار الفكر .

الفترة الذين لا تجد فى شعرهم سوى صور لفظية قد تدثرت بثياب غليظة من محسنات البديع .. بل أثقاله ، وإضافة أثقال جديدة من مثل أن ينظم الشاعر قصيدة من حروف معجمة ، أو مهملة ، أو ينظم قصيدة تأتلف من أوائل الحروف أبياتها أبيات أخرى ، أو يستخرج منها تاريخًا ، وليس وراء هذا جميعه إلا الفساد ، فقد أصبح الشعر حسابًا وأرقامًا ، وتمارين هندسية عسيرة الحل ، فإن ترك ذلك الشاعر ، فإلى الاقتباس ، والتضمين ، والتشطير ، والتخميس لقصائد معروفة ، وليس للشاعر من فضل فى هذا العمل إلا أنه يجرى كلامًا على آلات العروض ، والقوافى .. ولا تستطيع فى أثناء هذا العبث أن تقرأ معنى مبتكرًا ، بل لا تستطيع أن تقرأ لفظًا جميلاً " [1] إلا بعد المضى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الذى شهد انفتاحًا على التراث الشعرى الموروث ، وذلك من خلال الاهتمام بدواوين فحول الشعراء القدماء ، وطبعها ونشرها ، وانشغال العديد من شعراء تلك الفترة بمطالعتها ، واستقراء ما تحتوى عليه من ثروات علمية أصقلت عقولهم ، ورفعت مكانتهم الأدبية ، وجعلتهم يحظون بالمدح والتقريظ ممن وقف على نتاجهم الأدبى كصاحب كتاب آداب اللغة العربية الذى تحدث عن الشاعر " على أبى النصر " فقال : " هو من نوابغ شعراء مصر فى أواسط القرن الماضى ولد فى منفلوط ، وفيه قريحة وقادة فنظم الشعر وهو غلام ، ونبغ فى عصر إسماعيل ، وكان من المقربين إليه ، وقد نال جوائزه ، ومدحه ، ومدح غيره من أفراد الأسرة الخديوية ، ورافق الخديوى إسماعيل لما سافر إلى الآستانة فى زمن السلطان عبد العزيز ، وسافر إلى الآستانة قبل ذلك موفدًا من (محمد على) على عهد عبد الحميد ، وذاعت شهرته " [2] .

---

(١) الأدب العربى المعاصر فى مصر - د / شوقى ضيف ص ٤٠ - مطبعة دار المعارف .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية - جورجى زيدان ٤ / ٢٣٨ - مطبعة دار مكتبة الحياة بيروت .

ومن أحس ما قاله من الشعر هذه القطعة التى يتأسف فيها لفراق أحبابه [1] :

لقد ذهب النوى بجميل صبرى ∴ وأودع فى حشاشتى الولوعا

وألبسنى الأسى خلع السقمى ∴ وألزمنى التذلل والخضوعا

وثار الشوق أفراحا غرامى ∴ على كبدى فقومت الضلوعا

ولى قلب تقلبه شجون ∴ وتمنعه السكينة والهجوعا

يبيت مع الأحبة حيث كانوا ∴ ويصبح راجيًا منهم رجوعا

يرى أضغاث أحلام الأمانى ∴ حقائق لا تزال بها ولوعا

تطوف به الخوالد وهو لاه ∴ كأن الوهم أليسه دروعا

وقائلة إلام تحن شوقًا ∴ إلى حى أحل بك الفلوعا

فقلت لها : وقيت البلى إنى ∴ أود بحبهم أدعى هلوعا

له فى فيهم لرياح روحى ∴ وترجو ساعة أن لا تلوعا [2]

فيهم روحى وريحانى وراحى ∴ فكيف أرى إلى السلوى نزوعا [3]

---

(١) فى الأدب الحديث - د / عمر الدسوقى ١ / ١٦١ .

(٢) تلوع : تهر .

(٣) الراح : الخمر ، النزوع : الميل .

ومن شعراء تلك الفترة أيضًا الشيخ عبد الله الندم الذى بمساجلته مع الأدباء ، وإفحامهم فى بيت شاهين باشا ما يظهر قدراته الأدبية ، وموهبته الشعرية ، فلقد قيل " إنه حضر اجتماعًا حافلاً لدى شاهين باشا ، فتحامل عليه فيه كل القوم فاقترح بعضهم عليه إنشاء قصيدة يعارض بها دالية المتنبى المشهورة التى مطلعها [1] :

أَقَلُّ فَعَالِي بَلَّةً أَكْثَرُهُ مَجْدُ ∴ وَذَا الجَدُّ فيه نلتُ أم لَم أَنَل جَدُّ

وقال : إنه لا يتأتى لشاعر أن يعارض قوله فى هذه القصيدة :

وَمن نَكَد الدُّنيا عَلى الحُرِّ أن يَرى ∴ عَدُوّاً لَهُ ما من صَداقته بُدُّ

فغضب الندم ، وأمسك بالقلم ، وأنشأ قصيدته الدالية التى أولها :

سيوفى الثنا تصدا ومقولى الغمد ∴ ومن سارقى نصر تكفله المجد

إلى أن قال معارضًا ذلك البيت الذى ظنه المتعنت معجزًا :

ومن عجب الأيام شهم أخو جحا ∴ يعارضه غر ويفحمه وغد

ومن غرر الأخلاق أن قدر الدما ∴ لتحفظ أعراض تكفلها المجد

وأردفها بخمسة أبيات على شاكلتها فأفحم المعارض وأبلس ولم يدر كيف يقول [2] .

كما حفلت هذه الفترة ببعض الشعراء الآخرين ، كمحمود صفوت الساعاتى ، وعبد الله فكرى ، وحفنى ناصف الذى لم ينهج نهج النظامين ، والمقلدين

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى - شرح العكبرى ١ / ٣٧٣ - مطبعة دار المعرفة بيروت ، ومعناه إنى لا أفعل شيئًا إلا ومغزاى المجد وإياه أطلب ولو صرح لقال نومى وأكلى وشربى للمجد وذا المجد معناه أن المجد فى طلب المجد جد معجل استعجال الحر فى الأمور جد وذو المجد الذى أنا عليه من أمرى فيه خطر نلت ما أطلبه أو لم أنله .

(٢) عبد الله الندم خطيب الوطنية - د / على الحديدى ص ٥٥ - طبع المؤسسة المصرية العامة .

فحسب ، وإنما جدد فى بعض أغراضه الشعرية ، وذلك من خلال حديثه عن بعض القضايا الاجتماعية ، والوطنية ، فكان شاعرًا وسطًا بين المقلدين ، والمجددين ، كما هو واضح فى حديث الدكتور طه حسين عنه بقوله : " وكان شاعرًا ولكن شعره كان عجبًا من العجب لم يعرض عن مذاهب الذى أدركهم من المقلدين والمتكلفين ، وأصحاب البديع الإعراض كله ، ولم يفن فيهم ، ولم يلزم طرائقهم كما أنه لم يتهالك على الجديد مع المجددين ، ولم يندفع معهم إلى غير غاية وإنما توسط بين أولئك وهؤلاء ، فكان يصطنع البديع ، وينظم فيه ، وكان يصطنع الجديد ، ويأخذ منه بعض أطرافه ، وكان بذلك أصدق صورة لمصر المتطورة فى أيامه ، فهو قد ولد بعد أن نيف القرن الماضى على الخمسين ، وتوفى قبل أن يبلغ هذا القرن عشرين عامًا ، فأدرك عصر التطور المصرى بأدق معانيه ، وعلى الرغم من كل هذا ، فقد ظل الشعر فى تلك الفترة يتعثر فى قيود التقليد ، والصناعات اللفظية ، والمشطرات ، والمخمسات التى لم يستطع الشعراء أن يتخلصوا منها تخلصًا تامًا حتى ظهر الرائد المثالى للحركة الإحيائية الشاعر محمود سامى البارودى ، والقائد الأول لمن سار على نهجه من تلامذته الذين انضموا تحت لواء تجديده ، كشوقى ، وحافظ ، وأحمد محرم ، وغيرهم من الشعراء الذين عرفتهم الحياة الأدبية فى عصره .

المبحث الثانى

مدرسة البعث والإحياء

تعد هذه المدرسة أول المدارس الأدبية الحديثة التى ظهرت منذ بداية عصر النهضة الأدبية " بل عدها النقاد الأساس الأول الذى اعتمدت عليه المدارس الأخرى ، والمنبع الثراء الذى أفادها كثيرًا ، ولولاها لما تحققت للشعر الحديث الأصالة العربية ، والقوة والجزالة " [1] ، وذلك بفضل رائدها الأول الشاعر / محمود سامى البارودى .

لقد بدأ البارودى نهضته الأدبية بالعكوف على دواوين فحول الشعراء السابقين ، كالنابغة الذبيانى ، والبحترى ، وأبى تمام ، وابن الرومى ، والمتنبى ، وغيرهم من الشعراء الذين تأثر بألفاظهم ، ومعانيهم ، وأخيلتهم ، فجاء تأثره واضحًا فى بعض أشعاره التى أشعرنا فيها بروح الاحتذاء ، والتقليد لأولئك القدماء ، وذلك من خلال استهلاله بعض قصائده بالوقوف على الديار ، وتحيتها ومساءلتها عن الأحبة ، والتأثر بما فعلته مظاهر الطبيعة برسومها ، وأطلالها حتى أصبحت مقفرة ، وموحشة وغدت مرتعًا للظباء ، والغزلان ، وغيرها من حيوانات الصحراء ، فأثارت هيئتها ، وحالتها كوامن أشجانه ، فراح يسترجع ذكرياته الجميلة الماضية التى أشعلت فى قلبه نار الوجد ، والغرام ، وحرارة الشوق ، والهيام ، وغير ذلك من المشاعر والأحاسيس التى أفصح عنها فى استهلاله بقوله [2] :

أَلا حَيِّ مِنْ أَسْمَاءَ رَسْمَ الْمَنَازِلِ ∴ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَرْجِعْ بَيَانًا لِسَائِلِ

---

(١) من الأدب الحديث فى ضوء المذاهب الأدبية والنقدية - د / على صبح ص ٢٧ - مطبعة المريخ بالرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨٧ م .

(٢) ديوان البارودى - تحقيق / على الجارم ومحمد شفيق معروف ٣ / ١٣٦ - مطبعة الهيئة المصرية العامة .

خَلاءٌ تَعَفَّتْهَا الرَّوَامِسُ وَالْتَقَتْ ∴ عَلَيْهَا أَهَاضِيبُ الْغُيُومِ الْحَوَافِلِ

فَلأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَرَسُّمٍ ∴ أَرَانِي بِهَا مَا كَانَ بِالأَمْسِ شَاغِلِي

غَدَتْ وَهْيَ مَرْعًى لِلظِّبَاءِ وَطَالَمَا ∴ غَنَتْ وَهْيَ مَأْوًى لِلْحِسَانِ الْعَقَائِلِ

فَلِلْعَيْنِ مِنْهَا بَعْدَ تَرْيَالِ أَهْلِهَا ∴ مَعَارِفُ أَطْلالٍ كَوَحْيِ الرَّسَائِلِ

وفيما يغلب على ظني أن الباعث على تقليد البارودى للقدماء ، واحتذائه القصيدة العربية القديمة فى منهجها المعهود هو شدة إعجابه بهذا المنهج القديم ، وإبراز قدراته على نظم التليد ، وتمثيله فى شعره الحديث ، وهذه سمة اتسم بها بعض الشعراء الفحول ، كأبى نواس وغيره ، ولذا نجده ترسم خطاهم ، وبادر بمحاكاتهم ، ومعارضتهم فى مختلف قصائده " فلكى يثب بالشعر وثبته القوية ، ويرتفع به إلى سماء المجد كان عليه أن يعارض عظماء الشعر فى عصوره الذهبية ، ويحلق فى سماء القريض بين الجاهلية ، والإسلام ؛ ليذهب ذوقه ، ويقوى ملكته ، وينمى شاعريته ، وتسمو مداركه ، ويتعمق فكره ويتسع خياله " [1] .

ولقد حظى البارودى فى محاكاته ، ومعارضته لفحول الشعراء القدماء بالتقريظ ، والإنصاف من قبل بعض الأدباء النقاد كالعقاد فى قوله : " وربما كانت محاكاته للأقدمين هى أنفع ما فى شعره للأدب المصرى الحديث ؛ لأنه رد إلى المعاصرين يقين المقدرة على مجاراة العباسيين ، والمخضرمين ، والجاهليين فى ميدان اللغة ، والتركيب بما أتقن فى معارضتهم فى المذاهب والأساليب " [2]

أما الدكتور طه حسين فقد رأى أن " الشعر العربى فى هذا العصر كان قديمًا كله ، أو كالقديم ، ومن هنا كثرت معارضة البارودى ، وشوقى ، وحافظ لفحول

(١) من الأدب الحديث - د / على على صبح ص ٣٠ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد ص ١٤٧ .

الجاهليين والإسلاميين ... ولعل من الخير ، والحق أن ننصف الشعراء ، فنلاحظ أنهم كانوا مضطرين إلى أن يتأثروا بالقديم أو الأمر ؛ لأن التأثر بالقديم فى نفسه دليل الحياة ، والقوة ، والقدرة على البقاء ، والجهاد هو دليل على أن لهذا الأدب العربى ماضيًا خصبًا فيه عناء وفيه قدرة على الحياة ومغالبة العصور " [1] .

ولكن هل شخصية البارودى ضاعت فيمن حاكاهم وعارضهم ؟ أم أن شخصيته تجلت واضحة فى نظمه لقصائده ، ومقطعاته ، هذا ما سنقف عليه من واقع معارضته للنابغة الذبيانى فى قصيدته التى استهلها بقوله [2] :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ ∴ عَجْلانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ [3]

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا ∴ وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الْغُدَافُ الأَسْوَدُ

لا مَرْحَبًا بِغَدٍ وَلا أَهْلاً بِهِ ∴ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الأَحِبَّةِ فِي غَدِ

حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُوَدِّعْ مَهْدَدًا ∴ وَالصُّبْحُ وَالإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعِدِي

وَلَقَدْ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مِنْ حُبِّهَا ∴ عَنْ ظَهْرِ مِرْنَانٍ بِسَهْمٍ مُصْرَدِ

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ∴ فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا ∴ نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وُجُوهِ الْعُوَّدِ

فقد تأثر البارودى بهذه الدالية وعارضها بقوله [4] :

(١) حافظ وشوقى - د / طه حسين ص ١١ - مطبعة دار البحوث العلمية بالكويت .

(٢) تاريخ المعارضات فى الشعر العربى - د / محمد محمود قاسم ص ١٨٩ - مطبعة دار الفرقان بالأردن ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، وديوان النابغة الذبيانى ص ٦٨ - شرح د / حنا نصر - مطبعة دار الكتاب العربى ببيروت .

(٣) غير مزود : يريد رؤيتها ، البوارح : الطيور التى تتطير بها العرب ، مهدد : اسم حبيبة الشاعر ، المرنان : قوس يرن ، مصرد : نافذ ، النصيف : كل ما غطى الرأس من خمار وغيره ، اتقتنا : احترست .

(٤) ديوان البارودى ١ / ١٤٨ .

ظَنَّ الظُّنُونَ فَبَاتَ غَيْرَ مُوَسَّدِ ∴ حَيْرَانَ يَكْلأُ مُسْتَنِيرَ الفَرْقَدِ [1]

قَالُوا غَداً يَوْمُ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ ∴ خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ

يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ ∴ أَدْعُوكُمُ يَا قَوْمُ دَعْوَةَ مُقْصَدِ

إِنِّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ ∴ عَقْلِي فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لأَهْتَدِي

وأعجب البارودى كذلك بميمية عنترة بن شداد والتى هى إحدى المعلقات السبع عند العرب ومطلعها [2] :

هَل غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِن مُتَرَدَّمِ ∴ أَم هَل عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

فعارضها البارودى بقصيدة مشابهة لها حتى فى اللفظ أحيانًا لاسيما مطلعها [3]

:

كَمْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ∴ وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْوَ مُقَدَّمِ

فمن هذه النماذج السابقة التى عارض فيها البارودى بعض الفحول من الشعراء القدماء ، يتضح لنا أن شخصية البارودى لم تذب فيمن عارضهم وحاكاهم ، وأن شاعريته لم تقصر دون من عارضهم ، بل تجلت شخصيته فى قدرته الفائقة على العودة بالشعر العربى إلى ما كان عليه فى عهد أولئك الفحول سواء فى معارضته ، أم فى تقليده لألفاظهم ، وأساليبهم ، ومعانيهم الواردة فى بعض أغراضه الشعرية كالوصف ، والغزل ، والمدح ، وغير ذلك من الفنون الشعرية التى لمسنا فيها جانب التقليد لغيره من الشعراء السابقين .

---

(١) ظن الظنون : ساورته الهموم ، غير موسد : على غير وسادة ، يكلأ : يراقب ، الفرقد : النجم الذى يهتدى به ، المنار : علم الطريق ، المقصد : المطعون .

(٢) تاريخ المعارضات فى الشعر العربى – د / محمد محمود قاسم ص ١٨٩ ، وشرح ديوان عنترة بن شداد للخطيب التبريزى ص ١٤٧ – مطبعة دار الكتاب العربى ببيروت .

(٣) ديوان البارودى ٣ / ٤٨٥ .

وبهذا فإن عودة البارودى بالشعر العربى إلى ما كان عليه أيام الفحول السابقين ، يعد أول مظهر من مظاهر تجديده ، لقد ظهرت شخصية الشاعر واضحة ، وجلية فى قدرته على الجمع بين القديم ، والجديد فى آن واحد ، فالغرض قد يكون قديمًا ، ولكن شاعريته جعلت هذا القديم يتشح وشاحًا فيظهره جديدًا ، فهو يقتبس من القديم ، ويستوحى الجديد ، فيمزج هذا وذاك ويخرج للفن هذا المزيج كائنًا جديدًا تقرأ فيه جلال القديم ، وجمال الجديد ، وهذه ظاهرة " تفوق البارودى فيها تفوقًا رائعًا فى تلك الطريقة التى تعتمد على الأصول التقليدية للشعر العربى ... وأهمية البارودى فى الواقع ترجع إلى أنه ثبت هذه الطريقة التى وصلت الشعراء بماضيهم ، مع تمرين الشعر على تصوير حياتهم الحاضرة ، وهى طريقة لا تندفع مع الجديد إلى الأمام فى تهور ، ولا مع القديم إلى الوراء فى غير تحفظ بل توازن موازنة دقيقة بين القديم والجديد موازنة تقوم على الإحياء لأصول شعرنا التقليدية دون أن تطغى هذه الأصول على حياة الشاعر ، ومحيطه ، وبيئته ، ومشاعره ، ومشاعر قومه " [1] .

لقد وصف مطران جهود البارودى فى بعث الشعر العربى ، وإحيائه بقوله : " إن شعر البارودى هو بجملته صناعة لا يقاس بقديم أو حديث مع ابتكار قليل ، وإحساس فياض ، واختار له أحسن أساليب العرب ، وأفصح ألفاظهم ، وتغنى بها على وحى من نفسه ، ونفسه جارية النغمة ، وعاشقة الإيقاع فافتن حتى أنس الفن ، وجود حتى أذهل فى المعنى ، فمثل قارئه مثل سامع المنشد البارع لا يبتئس حتى يلتبس عليه فهم الألفاظ إذ استمر النغم على نظامه وإتقانه ، بل يستمر فى طلبه ، ويترقى فيه إلى أن يخلق لنفسه شجونًا حتى تفوته شجون الأقوال المنشدة ، وذلك كان مذهبه فى الشعر ، وتلك غايته منه ، ولا ننسى له فضلاً جديرًا بالذكر الخاص ، وهو أول شعراء

---

(١) فصول فى الشعر ونقده – د / شوقى ضيف ص ٢٨٤ – مطبعة دار المعارف .

البعثة الحديثة بمعنى أنه أول من رد الديباجة إلى بهائها ، وصفائها القديمين ، وما أبرز قريضه لقريض جيله ، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعدا إلى عهد أرق أزمنة العرب ، فهى كالجبال الشامخة ، وحولها القصائد الأخرى كالأركان المقامة من حجارة ، وأطلال بلا اختيار ، ولا نسق هدام "[1] .

ولكى تتضح لنا قدراته الفنية على مزج القديم بالجديد ، وتتكشف لنا معالم تجديده أثناء تعبيره عن مشاعره وأحاسيسه تجاه الحياة والإحياء نستعرض بعض الموضوعات القديمة التى بدت من خلالها ملامح تجديده كفن الوصف التى اتخذه وسيلة لوصف مشهد من مشاهد الطبيعة الغناء فى ايام الربيع حيث المياه الجارية والنباتات النامية ، والأشجار الفاخرة ، والزاهية بثمارها ، وأزهارها المتنوعة ، وكذلك صورة الطيور ، وهى تطير وتغدو ، وتنتقل من مكان إلى مكان تعبيرًا عن فرحتها ، وسعادتها بهذه المناظر الجميلة التى تزينت بها صفحة الأرض ، وشملت الفضاء الساكن بينها ، وبين السماء ، فالسحب حافلة بالمياه ، والرياح الطيبة اللينة التى تسرى برفق قبيل الفجر ، وقبيل الغروب فتنعش النفوس ، وتشرح الصدور .

ثم نظر الشاعر إلى هذه المساحات الشاسعة من الزروع المختلفة ، والنباتات المتنوعة ، فوجد فى صورتها صورة مماثلة فى البحر العظيم الهائل ، وكما تخيل شواطئ هذا البحر ، وما يحيط بها من تلال ، ومرتفعات تخيل أيضًا شوامخ هذه الأشجار التى شابهت فى ارتفاعها ، وضخامتها سفائن ومراكب تسير وتتحرك بحركات الرياح المتتابعة ، فتميل تارة وتعتدل تارة أخرى .

---

(١) من الأدب الحديث - د / على صبح ص ٣١ .

ولكى يكمل الشاعر حديثه عن جمال الطبيعة أيام الربيع وصف لنا النخل الطوال وما تحمله من ثمار وسعف ، وغصون فى رءوسها وأعناقها لا فى بوقها وجذوعها ، فالعثاكل أى القنو التام بشماريخه ، وبسره يتثنى على أعناقها ، والخوص ، والسعف مربوطة ، ومشدودة مع رءوسها ، فأشبهت هيئتها خصل الشعر ، وفلائله فى تفرعه ، وكثرته ، ثم تأمل صورة البسر أى ثمر النخيل وهو البلح إذا لون ، ولم ينضج فى الأغداق ، والكبائس ، والعراجين ، فأشبهت صورته أثناء عدم اكتمال حمرته بصورة الشىء الناصل إذا خرج من معظم خضابه ، وإذا اكتملت حمرته ، فهو كالأصابع المخضوبة بالحناء ، أما الأصفر منه ، فقد أشبهت صورته فى شماريخه صورة القناديل المعلقة فى سلاسلها الذهبية تزهو ، وتتألق فى ألوانها الصفراء الذهبية الزاهية على حد تعبيره الوارد فى قوله [1] :

عَمَّ الْحَيَا وَاسْتَتَّتِ الْجَدَاوِلُ ∴ وَفَاضَتِ الْغُدْرَانُ وَالْمَنَاهِلُ [2]

---

(١) ديوان البارودى ٣ / ١٧٦ .

(٢) الحيا : المطر ، استت : انصبت وجرت ، الجداول ، الترع ، الغدران : الأنهار الصغيرة ، المناهل : المشارب ، النور : الزهر ، الخمائل : الشجر الكثيف الملتف ، الأيك : الشجر الكثيف الملتف ، البليل : الطائر الصغير ، نبات خائل كاف مغن أو مهتز بحركة النسيم كالاختال : جبهة الجو : الفضاء بين السماء والأرض ، النسيم : الريح الطيبة ، جائل : متحرك ، تندى : تجود ، السحر : وهو وقت الاصفرار قبيل الغروب ، الأكمات : التلال ، شامخ : مرتفع ، الدوحة : الشجرة العظيمة ، السفين : الفلك ، جفل : مشى وأسرع ويراد به هنا المهتز المتحرك ، قفو به : تحركه ، الباسقات : طوال النخل ، الشامخ : أى الذى طال وارتفع ، الحوامل : المثمرات ، المثمورة : المرفوعة ، وسوقها : جمع ساق وساق النخلة جذعها ، وذلائل الثوب : أسافله ، والمراد هنا سعف النخل وأغصانها وغوصها الأخضر ملوية مثنية أو معطوفة ، الجيد : العنق ، العثاكل : جمع عثكول وهو الكباسة أى العذق أى القنو التام بشماريخه وبسره ، الفلائل : جمع فليلة وهى الشعر المجتمع والمراد هنا السعف والخوص ، البسر : ثمر النخيل قبل أن يرطب أو هو البلح إذا لون ، قانى : أحمر شديد الحمرة ، الناصل : البلح الأخضر إذا أخذ فى الاحمرار ، ونصل الشعر أو الثوب : زال عنه لونه ، الخضاب : الحناء ، الأنامل / رءوس الأصابع وترتيب الكلام فى البيت : للبسر فى العثاكل ناصل ، وقانى : مخضب كأنه الأنامل كأنه : أى البسر وهو هنا يصف البلح الصفر الفاقع الذهبى ، القنديل : مصباح كالكوب يملأ ماء فوقه طبقة من الزيت وفى وسطه فتيل يشعل فيضئ الشموع وهو الذى يجمع البسر وينتظمه .

وتارة يشبه العقل كالمنظار الذى يرى الأشياء البعيدة التى لا يستطاع لمسها باليد لبعدها فيقول [1] :

فَالعَقْلُ كَالْمِنْظَارِ يُبْصِرُ مَا نَأَى ∴ عَنْهُ قَرِيباً دُونَ لَمْسٍ بِالْيَدِ [2]

وتأخذه لواعج الشوق ، وتباريح الغرام ،فيشف جسمه ، ويضنيه الوجد ولولا النفس لاشتدت به الصبابة ، واحتبست حرقة الوجد فى نفسه ، وصار مثله كمثل الطائرة التى تطير فى الهواء ، عبر عن هذا بقوله [3] :

جِسْمٌ بَرَتْهُ يَدُ الضَّنَى حَتَّى غَدَا ∴ قَفَصاً بِهِ لِلْقَلْبِ طَيْرٌ يَصْفِرُ [4]

لَوْلا التَّنَفُّسُ لاعْتَلَتْ بِيَ زَفْرَةٌ ∴ فَيَخَالُنِي طَيَّارَةً مَنْ يُبْصِرُ

وعلى الرغم من تأثره بهذه المخترعات الحديثة التى زللت الطبيعة وهيأتها لراحة الإنسان إلا أنه لم يفرد لنا قصائد أو مقطعات بعينها يقدم لنا من خلالها وصفًا متكاملاً عن هذه المخترعات الواردة فى ثنايا تشبيهاته والتى برهنت بذكرها على شدة ولوعه بالتجديد وحرصه الشديد على تمثيلها فى ثنايا أشعاره .

الهجاء :

وكما لمسنا بعض مظاهر تجديده فى فن الوصف نلمس أيضًا بعضًا من هذه المظاهر فى فن الهجاء الذى يعد من الفنون القديمة التى اتخذها الشعراء وسيلة للنيل من مهجويهم ، وتبدو لنا مظاهر تجديده فى هذا الغرض من خلال اتخاذه وسيلة للتعبير عن

---

(١) المرجع السابق ١ / ١٣٦ .

(٢) نأى : بعد ، المنظار : أى المنظار المكبر .

(٣) المرجع السابق ٢ / ٧٠ .

(٤) ضنى : أى مرض مرضًا محامرًا كلما ظن برؤه نكس ، صفير القلب : ضعف ، الزفرة : شدة الخرقة ، يخالنى : يظننى .

بعض المساوئ السائدة فى الحياة الاجتماعية ، كالظلم والنفاق ، والغدر ، والجشع ، وغير ذلك من الأمور التى لا تتفق مع طبيعة الشاعر التى جبل عليها ، ومن ثم ، فقد عمد البارودى إلى تجسيم هذه المساوئ وإبرازها فى صورها الحقيقية حتى ينفر الناس منها ، ويعملوا جاهدين على نبذها ، واستئصالها من جذورها سواء أكانت هذه العيوب كائنة فى بعض أفراد المجتمع ، أم ظواهر اجتماعية أوجدها ظروف الحياة الاجتماعية آنذاك ، ولذا فقد أوجد لنا البارودى لونين من الهجاء ، أحدهما الهجاء الشخصى ، والآخر الهجاء الاجتماعى .

أما هجاؤه الشخصى ، فقد أوجدته بعض الدوافع التى كانت سببًا فى استخدامه كإحساسه ، وشعوره بالضيق ، والأذى من أخلاق بعض الناس الذين ناصبوا العداء للشعب بسبب ثوراته التحررية ضد الظلم والفساد كما فعل رياض باشا فهجاه بقوله [1] :

إِنَّ مُلْكاً فِيهِ فُلانٌ وَزِيراً ∴ لَمُبَاحٌ لِلْخَائِنِينَ وَبَالُ [2]

أَهْوَجٌ أَحْمَقٌ شَتِيمٌ لَئِيمٌ ∴ أَغْتَمٌّ أَبْلَهٌ زَنِيمٌ عُتُلُّ

صَغُرَتْ رَأْسُهُ وَأَفْرَطَ فِي الطُّولِ ∴ سَوَاهُ وَعُنُقُهُ فَهُوَ صَعْلُ

أَبْرَزَتْ قُدْرَةُ الطَّبِيعَةِ مِنْهُ ∴ شَكْلَ لُؤْمٍ إِنْ كَانَ لِلُّؤْمِ شَكْلُ

---

(١) المرجع السابق ٣ / ٢٣٦ .

(٢) فلان : فلان كناية عن المهجو ، أهوج : طويل فى طيش وتسرع ، أحمق : ضعيف الرأى وسوء التصرف ، شتيم : كريه الوجه باسر كالح ، اللؤم : خسة الطبع ، أغتم عى لا يفصح ، أبله : أحمق عاجز الرأى ، الزنيم : الدعى ، العتل : الجافى الغليظ ، صغر الرأس : عيب خلقى ، أفرط : زاد ، شواه : أطرافه ، صعل : دقيق الرأس والعنق ، قدرة الطبيعة : قدرة الخالق عز وجل ، منه : من المهجو ، اللؤم : أى شحت نفسه ودنوء أصله ، الهدف : الغرض توجه إليه السهام ، السهم : واحد النبل ، النصل : الحديدة التى تكون فى رأس السهم .

هَدَفٌ لِلْعُيُوبِ فِي كُلِّ عُضْوِ ∴ مِنْهُ سَهْمٌ لِلطَّاعِنِينَ وَنَصْلُ

أما هجاؤه الاجتماعى ، فيتمثل فى ذمه ، واحتقاره لعيب ما من العيوب الاجتماعية التى كانت متفشية فى مجتمعه ، كالنفاق ، وعدم الوفاء بين الأخلاء ، وغير ذلك من المساوئ التى يمكن ملاحظتها فى قوله [1] :

أَنَا فِي زَمَانٍ غَادِرٍ وَمَعَاشِرٍ ∴ يَتَلَوَّنُونَ تَلَوُّنَ الْحِرْبَاءِ [2]

أَعْدَاءُ غَيْبٍ لَيْسَ يَسْلَمُ صَاحِبٌ ∴ مِنْهُمْ وَإِخْوَةُ مَحْضَرٍ وَرَخَاءِ

أَقْبِحْ بِهِمْ قَوْماً بَلَوْتُ إِخَاءَهُمْ ∴ فَبَلَوْتُ أَقْبَحَ ذِمَّةٍ وَإِخَاءِ

قَدْ أَصْبَحُوا لِلدَّهْرِ سُبَّةَ نَاقِمٍ ∴ فِي كُلِّ مَصْدَرِ مِحْنَةٍ وَبَلَاءِ

وَأَشَدُّ مَا يَلْقَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ ∴ فَقْدُ الْكِرَامِ وَصُحْبَةُ اللُّؤَمَاءِ

شَقِيَ ابْنُ آدَمَ فِي الزَّمَانِ بِعَقْلِهِ ∴ إِنَّ الْفَضِيلَةَ آفَةُ الْعُقَلَاءِ

وهناك العديد من الظواهر الاجتماعية التى كانت ، وما زالت سائدة فى بعض ربوع المجتمع المصرى ، كالصخب ، والضوضاء ، وعدم مراعاة حقوق الجيران ، وحرمانهم من الهدوء فى أوقات راحتهم ، كاستخدام المذياع ، ومكبرات الصوت ، وغير ذلك من العادات القبيحة التى أبرزها لنا الشاعر من خلال هجائه لإحدى جاراته التى أقلقته بما يصدر من أولادها من صراخ ، وعويل ، وضجيج عبر عنه بقوله [3] :

---

(١) المرجع السابق ١ / ٢١ .

(٢) معاشر : جماعات من الناس ، الحرباء : دويبة غريبة الشكل تتلون ألوانا ، أعداء غيب : يتناولون الغائب بأسباب العداوة ، الحضور : المشاهدة ، اللمة : العهد ، السبة : من يكثر الناس سبه ، ناقم : كاره ، المحنة والبلاء والبلوى والشر ، الآفة : عرض يفسد ما يصيبه وهى العاهة ، الفضيلة : فضيلة العقل والخير .

(٣) المرجع السابق ٣ / ٢٤٩ .

إِلَى اللهِ أَشْكُو طُولَ لَيْلِي وَجَارَةً ∴ تَبِيتُ إِلَى وَقْتِ الصَّبَاحِ بِإِعْوَالِ [1]

لَهَا صِبْيَةٌ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمُ ∴ قَبَاحُ النَّوَاصِي لَا يَنَمْنَ عَلَى حَالِ

صَوَارِخُ لَا يَهْدَأْنَ إِلَّا مَعَ الضُّحَا ∴ مِنَ الشَّرِّ فِي بَيْتٍ مِنَ الْخَيْرِ مُمْحَالِ

لَهِيبٌ صِيَاحٌ يَصْعَدُ الْفُلْكَ الْعَالِي ∴ تَرَى بَيْنَهُمْ - يَا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُمْ -

طُرُقٌ - عَلَى حِينِ الْمَسَاءِ - بِرِئْبَالِ ∴ كَأَنَّهُمْ - مِمَّا تَنَازَعَ - أَكْلُبُ

كِلَابُ الْقُرَى مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالِ ∴ فَهُجْنَ جَمِيعًا هَيْجَةً فَزِعَتْ لَهَا

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ وَكَلْبَةٍ ∴ مِنَ الْحَيِّ إِلَّا جَاءَ بِالْعَمِّ وَالْخَالِ

فَيَا رَبُّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ تَصَبُّرًا ∴ عَلَى مَا أُقَاسِيهِ وَخُذْهُمْ بِزَلْزَالِ

فى أثناء حديثنا عن حياة الرائد الأول لمدرسة البعث عرفنا أنه كان أحد الثوار الذين اشتركوا فى الثورة العرابية ، وأنه كان معروفًا بين أبناء عصره بزعامته ، وثورته الملتهبة ضد الظلم والفساد ونبذ الخنوع ، والاستسلام لطغيان الحكام ، واستبدادهم ، ومن كان كذلك ، فمن الطبيعى أن يكون من نتاج شعره ما هو معبر عما يكمن فى نفسه ، ويعتلج فى صدره من شعر حماسى يحض على الثورة ضد الاستعمار وأعوانه ويحث أبناء وطنه على مناهضة الاستعمار فيقول [2] :

---

(١) طول الليل : ثقله ، الأعوال : رفع الصوت بالبكاء والصياح ، الناصية : مقدم الرأس ، لا ينمن : لا ينعسن ، الضحا : وقت شروق الشمس ، الشر : المشاجرة والخصام ، ممحال : مقفر مجدب ، الفلك : الفضاء الواسع ، طرقت النوم : أتيتهم ليلاً ، الرئبال : الأسد والذئب ، فزعت : ذعرت ، السهل : ما كان منبسطًا ، هجين : الضمير يعود على أكلب المشبه بها الصبيان ، عقره : عضه وجرحه ، من الحى : من كلاب الحى ، التصبر : حمل النفس على الصبر ، تكلف الصبر : تجشمه ، الزلازل : الكوارث والأهوال .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٢١١ .

فَيَا قَوْمُ هُبُّوا إِنَّمَا الْعُمْرُ فُرْصَةٌ ∴ وَفِي الذِّكْرِ طُرْقٌ جَمَّةٌ وَمَنَافِعُ [1]

أَصْبَرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمُ ∴ عَدِيدُ الْحَصَى إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

وَكَيْفَ تَرَوْنَ الذُّلَّ دَارَ إِقَامَةٍ ∴ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ وَاسِعُ

أَرَى أَرْؤُسًا قَدْ أَيْنَعَتْ لِحَصَادِهَا ∴ فَأَيْنَ وَلا أَيْنَ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ

فَكُونُوا حَصِيدًا خَامِدِينَ أَوِ افْزَعُوا ∴ إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَدْفَعَ الضَّيْمَ دَافِعُ

وعقب إخفاق الثوار فى ثورتهم يصف الشاعر تخاذل الثوار ، ومبادرتهم بالفرار من ساحة المعركة ، فدعاه ذلك إلى الدعاء عليهم بقوله [2] :

دَعَوْنِي إِلَى الْجُلَّى فَقُمْتُ مُبَادِرًا ∴ وَإِنِّي إِلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَسَابِقُ [3]

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الْجِدُّ سَاقُوا حُمُولَهُمْ ∴ إِلَى حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْهُ حَادٍ وَسَائِقُ

فَلا رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً بَاعَ دِينَهُ ∴ بِدُنْيَا سِوَاهُ وَهْوَ لِلْحَقِّ رَامِقُ

واستمر الشاعر فى حديثه عن أولئك الذين خذلوه بتركهم ساحة الوغى ، وفرارهم من ميدان القتال مسرعين ، ومتفرقين كما تتفرق الطير إذا انقض عليها جارح من الجوارح .

كما أنه بجانب تعبيره عن مشاعره ، وأحاسيسه ، وتصويره للمواقف البطولية التى خاض غمارها اتخذ الشعر الحماسى ، وسيلة لتصوير حالة الشعب المصرى ،

---

(١) هبوا : استيقظوا ، طرق : جمع طريق ، جمة : كثيرة ، الهوان : الذل ، أينعت : نضجت ، السيوف القواطع : أى التى تبتر وتستأصل ، الحصيد : الزرع المحصود ، خامدين : موتى ساكنين ، أفزعوا : ألجئوا من فزعت إليه أى لجأت ، الضيم : الذل .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٣٣٧ .

(٣) الجلى : الأمر الشديد ، مبادرًا : مسارعًا ، الجد فى الأمر : الاجتهاد فيه ، الحمول : الإبل عليها الهوادج وهنا كناية عن التخاذل والفرار ، الحادى : الغناء للإبل ، رامق : أطال النظر إليه .

وسوء أحواله ، ونبو أوضاعه ، وإسراف الخديوى إسماعيل ، وإرهاقه الفلاحين بالضرائب حتى هجروا مزارعهم ، وأغطشت الحياة فى وجوههم .

مظاهر التجديد فى موسيقا شعره :

قبل أن أتحدث عن مظاهر التطور فى موسيقا الشعر عند البارودى أمر مرورًا عابرًا على ما أحدثته بعض الثورات التجديدية من تطور فى موسيقا شعرنا التراثى بسبب استجابتها للتطور الحضارى الذى عايشته موسيقا شعرنا التراثى القديمة فى أواخر العصر الأموى .

ففى أواخر هذا العصر انتشر فن الغزل " على أيدى المغنين ، والمغنيات ، وأصبح هذا الفن يتطور بتطور الغناء الذى عاصره تطورًا واسعًا إذ أصبحت كثرته مقطوعات قصيرة ، وعدل الشعراء إلى الأوزان الخفيفة من مثل الرمل ، والسريع ، والخفيف ، والمتقارب ، والهزج ، والوافر ، كما عدلوا إلى مجزوءات الأوزان الخفيفة مثل الخفيف ، والرمل ، والمتقارب ، وحتى يعطوا للمغنين ، والمغنيات الفرصة كاملة كى يلائموا بين أشعارهم ، والحانهم ، وأنغامهم التى يوقعونها مع آلاتهم الوترية ، وطبولهم الموسيقية " [1] .

بالإضافة على هذا فإن ظهور الشعر التعليمى جعل بعض الشعراء يميلون إلى الرجز ، ويكثرون منه " وذلك لأن طبيعة الشعر التعليمى ، وصوغه لمعارف وعلوم شتى ألزمت الشعراء بالاتجاه إلى المزدوج وغيره من ضروب النظم " [2] .

ولقد قيل إن أبان بن عبد الحميد اللاحقى هو الذى عمل على إشاعة هذا الفن الشعرى فقد نظم فيه تاريخًا ، وفقهًا ، وقصصًا كثيرًا " [3] .

---

(١) تاريخ الأدب العربى – العصر الإسلامى – د / شوقى ضيف ص ٣٤٧ – طبع دار المعارف .

(٢) اتجاهات الشعر فى القرن الثانى الهجرى – د / محمد مصطفى هدارة ص ٣٨٥ – مطبعة دار المعرفة .

(٣) تاريخ الأدب العربى – العصر العباسى الأول – د / شوقى ضيف ص ١٩٠ – مطبعة دار المعارف .

ومن نظمه الوارد فى ذلك قصيدته التى نقل فيها " كليلة ودمنة " واستهلها بقوله [١] :

هـذا كتـاب كـذب ومحنـة ∴ وهو الـذى يـدعى كليلـة ودمنـة

فيـه دلالات وفيـه رشـد ∴ وهـو كتـاب وضـعته الهنـد

وإذا كان الرجز المزدوج هو الشكل الذى اعتمد عليه بعض الشعراء فى نظم الشعر التعليمى ، فليس معنى ذلك أن هذا الشكل لم يكن معروفًا من قبل ، فلقد ذكر لنا صاحب كتاب الأغانى .. خطبة ألقاها الوليد بن يزيد على منبر المسجد يوم الجمعة فقال [٢] :

الحَمْدُ للّهِ وَلِـيِّ الحَمْـد ∴ أحَمْـدُهُ فِي يُسْـرِنا وَالجهْـد

وَهُـوَ الَّـذي فِي الكَـرب أسْـتَعِينُ ∴ وَهُـوَ الَّـذي لَـيسَ لَـهُ قَـرِينُ

أشْـهَدُ فِي الـدُّنيا وَمَـا سِـواها ∴ أن لا إلـهَ غَـيرُهُ إلهَـا

مـا إن لَـهُ فِي خَلقِـهِ شَـرِيكُ ∴ قَـد خَضَـعت لمُلكِـهِ المُلُـوكُ

أما فى العصر العباسى فلم يقتصر شعراؤه على الميل إلى البحور القصيرة ، ولكنهم أحيوا أوزانًا قديمة كانت نادرة فى الشعر الجاهلى والإسلامى بحيث أصبح النظم بها تجديدًا وابتكارًا فى الوزن الشعرى .

---

(١) أخبار الشعراء المحدثين لأبى بكر الصولى – نشر هيورث ص ١٦ – طبع بيروت .

(٢) الأغانى للأصفهانى ٧ / ٥٧ – مطبعة دار الثقافة بيروت .

ولقد قال أبو العلاء المعرى : " أن المولدين استحدثوا فى هذا العصر المقتضب ، والمضارع ، وأن الخليل سجلهما ، وليس لهما أصل فى الشعر القديم " [١] .

ولقد نظم أبو نواس على المقتضب قصيدته التى استهلها بقوله [٢] :

حامِـلُ الهَـوى تَعِـبُ ∴ يَسْـتَخِفُّهُ الطَّـرَبُ

كما نظم أبو العتاهية على المضارع قصيدته التى جاء فيها [٣] :

أبـا عتَـبٍ مـا يضُـر ∴ ك أن تطلقِـى صَـفادى

ومن الشعراء الذين جددوا فى الأوزان تجديدًا جزئيًا الشاعر سلم الخاسر فقد مدح الهادى بقصيدة كل شطر فيها على وزن مستفعلن واحدة ، فقال [٤] :

موسـى المَطَـر . غَيـثٌ بَكـر ∴ ثُـمَّ انهَمَـر . ألـوى المـرَر

كَـم اعتَسَـر . ثُـمَّ انْسَـر ∴ وَكَـم قَـدَر . ثُـمَّ غَفَـر

وكما كان لحياة اللهو والغناء التى وجدت فى أواخر العصر الأموى ، وامتدت إلى العصر العباسى دور فى التنويع الموسيقى ، فكذلك كان لحياة اللهو والغناء فى الأندلس أثر واضح فى اختراع الموشحات ، وظهورها فى تلك الأرض ذات الطبيعة الوارفة الظلال ، ومن ثم فقد " حدد الغناء للموشح وزنه وحرره من قيود الشعر التقليدى ، وقوالب الأوزان المعروفة ، فجاءت الموشحات موافقة لأوزان الشعر الخليلية تارة ومخالفة لها تارة أخرى " [٥] .

---

(١) الفصول والغايات لأبى العلاء المعرى – تحقيق / محمود حسن زناتى ص ١٣٢ – مطبعة دار الآفاق بيروت .

(٢) موسيقى الشعر – د / إبراهيم أنيس ص ٢٢٠ – مطبعة دار القلم بيروت .

(٣) المرجع السابق .

(٤) العمدة لابن رشيق ١ / ١٨٥ – مطبعة دار الجيل بيروت .

(٥) فى الأدب الأندلسى – د / جودت الركابى ص ٣٨٥ – مطبعة دار المعارف بمصر " بتصرف " .

ونظرًا لتعرف الشاعر / محمود سامى البارودى على تراث الأقدمين ومطالعته لهذه الثورات التجديدة وما أفضت إليه من وجود المزدوجات والمربعات والمخمسات والموشحات فى شعرنا العربى فى مختلف عصوره السابقة ، فقد مال البارودى إلى التجديد فى موسيقى شعره فجاء بوزن جديد ونظم عليه مقطوعته التى تكونت من تسعة عشر بيتًا استهلها بقوله [1] :

امْلأ القَدَحْ ∴ واغْصِ مَنْ نَصَحْ [2]

وَارْوِ غُلَّتِي ∴ بابْنَةِ الْقَرَحْ

فَالْفَتَى مَتَى ∴ ذاقَهَا انْشَرَحْ

وَهْيَ إنْ سَرَتْ ∴ فِي الْعَلِيلِ صَحْ

أوْ صَبَا بِهَا ∴ باخِلٌ سَمَحْ

فَاهْجُرِ الْكَرَى ∴ وَاغْدُ نَصْطَبِحْ

فَالدُّجَى مَضَى ∴ والسَّنَا لَمَحْ

والْحَمَامُ فِي ∴ أيْكِهِ صَدَحْ

فَاتْبَعِ الْهَوَى ∴ حَيْثُمَا سَرَحْ

---

(١) ديوان البارودى ١ / ١٢١ .

(٢) القدح : إناء الخمر ، أعصى : من العصيان ، روى : سقى ، الغلة : الحرارة ، ابنة القرح : الخمر ، انشرح : انكشف همه ، سرت : سارت ، العليل : المريض ، صح : ذهبت علته ، صبا بها : مال إليها ، باخل : بخيل ، سمح : جاد وبذل ، الكرى : النعاس ، اغدو : أبكر ، السنا : الضوء ، لمح : لمع ، الأيك : شجر الملتف : صدح : صاح ، الهوى : الحب ، سرح : سار .

وإذا كان شعراء العرب نظموا شعرًا من بحر المتدارك ، فقد جاء نظمهم إما كاملاً ، أو مشطورًا ، ومن ثم فإن هذه المقطوعة التى أثرت عن البارودى وجاءت من مجزوء المتدارك تعد محاولته الأولى التى جاءت على وزن مخترع لا عهد للعروضيين به .

وهكذا فقد أجاد البارودى القول فى معظم الفنون الشعرية التى جعلته يحظى بشهادة جميع النقاد بأنه الباعث للشعر العربى الحديث ، والرائد الخلق الذى اقتفى أثره الكثير من الشعراء فى عصره ، فها هو ذا أستاذه الشيخ حسن المرصفى يتحدث عنه فيقول : " أولع البارودى وهو غض الحداثة بحفظ الشعر ، وأخذ نفسه بدراسة دواوين الفحول من شعراء المتقدمين حتى شب فصيح اللسان مطبوعًا على الإعراب دون أن يتعلم النحو ، فانطلق يقول الشعر فى أغراضه المختلفة ، ونهض به نهضة عظيمة ، وأعاد إليه حليته العربية ، وبهجته البدوية حتى شاكل الشريف الرضى فى جزالة اللفظ ، ومتانة النسيج ، وقوة الكلام ، ولم يتخلف عن متقدمى الشعراء فى شىء على أنه أربى عليهم بما جال فى فنون المعانى التى تجلت بها الحضارة الجديدة ، وما وصف من مخترعات أخرجها العلم الحديث " [1] .

ويقول عنه الشاعر الناقد عباس محمود العقاد مبينًا منزلته كرائد لحركة البعث والإحياء : " وثب البارودى بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف ، والركاكة إلى طريق الصحة ، والمتانة ، وأوشك أن يرتفع هذا الارتفاع بلا تدرج ، ولا تمهيد ، فإذا أرسلت بصرك خمسمائة سنة وراء عصر البارودى لم تكد تنظر إلى قمة واحدة متساوية أو متدانية ، وكنت كمن يقف على رأس الطود المنفرد ، فلا يرى أمامه غير التلال ، والكثبان والأوهاد ، وهذه وثبة فى تاريخ الأدب المصرى ترفع الرجل بحق إلى مقام الطليعة أو مقام الإلهام " [2] .

---

(١) الوسيلة الأدبية - حسين المرصفى ص ٤٤٠ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم - عباس محمود العقاد ص ١٢١ .

أما الدكتور شوقى ضيف ، فقد بين لنا منزلته الأدبية من خلال قوله :

" ولا نبالغ إذا قلنا : إنه أعطى شعرنا العربى من الفصاحة ، والنصاعة ، والرونق ما طال عليه العهد بفقدانه منذ القرن الرابع للهجرة ، وأهمية البارودى ترجع إلى أنه ثبت هذه الطريقة التى وصلت الشعراء بماضيهم ، وهى طريقة لا تندفع مع الجديد إلى الأمام فى تهور ، ولا مع التقدم إلى الوراء فى غير تحفظ ، بل هى توازن موازن دقيقة بين الجديد ، والقديم موازنة تقوم على الإحياء لأصول شعرنا المتوارثة دون أن تطغى هذه الأصول على حياة الشاعر ، ومحيطه ، وبيئته ، ومشاعره ، ومشاعر قومه " [1] .

---

(١) البارودى رائد الشعر الحديث - د / شوقى ضيف ص ١٥٢ - مطبعة دار المعارف .

المبحث الثالث

المدرسة الاتباعية (الكلاسيكية) الجديدة

وكما كان لمدرسة البعث والإحياء الفضل فى إحياء الشعر العربى الحديث وتجديده كان للمدرسة الكلاسيكية الجديدة ، أيضًا الفضل فى استمرارية مرحلة التطور والتجديد ، وذلك بفضل أمير الشعراء أحمد شوقى الذى اشتد إعجابه بنظم الفحول القدماء ، فاهتم بدواوينهم ، وتأثر بموروثهم والتزم بطابعهم الفنى فترتب على هذا أن لمسنا جانب التقليد فى بعض أغراضه الشعرية ، نذكر منها على سبيل المثال :

الوصف :

وصف الشاعر الطبيعة عند قدوم فصل الربيع - وليس هناك شك - من أن الربيع ، والمياه ، والشروق ، والغروب كلها مناظر طبيعية رائعة الجمال ساحرة الفتنة ، ومن ثم فقد تناولها الشاعر - كما تناولها السابقون - فى التعبير عن قدوم هذا الفصل ، وهو يتيه فى مشيته ، كما يتيه الملوك فى مشيتهم ، ثم أبرز لنا سعادة الأرض وفرحتها بمقدمه ، واكتسائها بمختلف النباتات ، والأشجار الزاهية بألوانها الحمراء والخضراء والصفراء ، وغير ذلك من مناظر السحر التى أودعها فى قوله [1] .

مَلِكُ النَبَاتِ فَكُلُّ أَرضٍ دارُهُ ∴ تَلقاهُ بِالأَعراسِ وَالأَفراحِ [2]

مَنشورَةٌ أَعلامُهُ مِن أَحمَرٍ ∴ قانٍ وَأَبيَضَ فِي الرُبى لَمّاحِ

لَبِسَت لِمَقدَمِهِ الخَمائِلُ وَشيَها ∴ وَمَرَحنَ فِي كَنَفٍ لَهُ وَجَناحِ

يَغشى المَنازِلَ مِن لَواحِظَ نَرجِسٍ ∴ آناً وَآناً مِن ثُغورِ أَقاحِ

---

(١) الشوقيات ٢ / ٢٣ ، والقصيدة مطلعها :

آذارُ أَقبِلَ قُم بِنا يا صاحِ ∴ حَيِّ الرَبيعَ حَدِيقَةَ الأَرواحِ

(٢) أقاح : واحدها أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء .

وَرُؤُوسٌ " مَنْشور " خَفَضْنَ لِعِزِّه ∴ تِيجَانُهُنَّ عَوَاطِرَ الأَرْوَاح

الوَرْدُ فِي سُرُرِ الغُصُونِ مُفَتَّح ∴ مُتَقَابِلٌ يُثْنَى عَلَى الفَتَّاح

ضَاحِي المَوَاكِبِ فِي الرِّيَاضِ مُمَيَّزٌ ∴ دونَ الزُّهُورِ بِشَوْكَةٍ وَسِلَاح

مَرَّ النَّسِيمُ بِصَفْحَتَيْهِ مُقَبِّلاً ∴ مَرَّ الشِّفَاهِ عَلَى خُدُودٍ مِلَاح

فهذه اللوحة الشعرية لا تختلف كثيرًا عن اللوحة التى رسمها البحترى للربيع أثناء قوله [1] :

فِي سَمَاءٍ مِنْ خُضْرَةِ الرَّوْضِ فِيهَا ∴ أَنْجُمٌ مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ [2]

وَاصْفِرَارٍ مِنْ لَوْنِهِ وَابْيِضَاضٍ ∴ كَاجْتِمَاعِ اللُّجَيْنِ وَالعِقْيَانِ

وَتُرِيكَ الأَحْبَابَ يَوْمَ تَلَاقٍ ∴ بِاعْتِنَاقِ الحُبُوذَانِ وَالأُقْحُوَانِ

فَكَأَنَّ الأَشْجَارَ تَعْلُو رُبَاهَا ∴ بِنَثِيرِ اليَاقُوتِ وَالمَرْجَانِ

وَكَأَنَّ الصَّبَا تَرَدَّدُ فِيهَا ∴ بِنَسِيمِ الكَافُورِ وَالزَّعْفَرَانِ

وهكذا نجد الشاعر فى وصفه للطبيعة لا يعتمد إلا على الجانب الحسى الخارجى [3] ، فلا يتخذ من مشاهدها ، ومناظرها الرائعة وسيلة للتجاوب ، والانفعال

---

(١) ديوان البحترى – شرح د / يوسف الشيخ محمد ١ / ٢٦١ – مطبعة دار الكتب العلمية ببيروت .

(٢) شقائق النعمان : نبت ، اللجين : الفضة ، العقيان : الذهب الخالص ، الحوذان : نبت لونه أصفر ، الأقحوان : نبات أوارق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان .

(٣) انظر : الشوقيات ٢ / ٢٤ وقصيدته " الربيع فى وادى النيل " حيث يقول :

وَالشَّمْسُ أَهْفَى مِنْ عَرُوسٍ بُرْقِعَتْ ∴ يَوْمَ الزِّفَافِ بِعَسْجَدٍ وَضَّاحِ

وَالمَاءُ بِالوَادِي يُحَالُ مَسَارِبًا ∴ مِنْ زِئْبَقٍ أَوْ مُلْقِيَاتِ صِفَاحِ

فالشمس أشعتها الزاهية تشبه العروس التى تحلت ببرقع أى ما يشبه الطرحة المزينة بالذهب والفضة والماء كالزئبق أو كالسيوف التى تشبه الفضة فى لمعانها وشدة بياضها .

، والتعبير عن تجاربه العاطفية كما فعل غيره من الشعراء الذين عايشهم ، كالشاعر خليل مطران فى قصيدته " المساء " ، والشاعر على محمود طه فى وصفه لرحلاته بأوروبا فى الجندول ، وغيره ، ولعل هذا كان سببًا فى مخاطبة الشاعر والناقد له بقوله : " اعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر هو من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ، ويحصى ألوانها ، وأشكالها ، وإذا كان من التشبيه أن تذكر شيئًا أحمر ، ثم تذكر شيئين أو أشياء مثله فى الاحمرار ، مما زدت على أن ذكرت أربعة أو خمسة أشياء حمراء بدل شىء واحد ، ولكن التشبيه أن تطبع فى وجدان سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع فى ذات نفسك ، وما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال ، والألوان ، فإن الناس جميعًا يرون الأشكال والألوان محسوسة بذاتها كما تراها ، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الألوان من نفس إلى نفس ، وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه ، واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه " [1] .

المدح :

فإذا ما انتقلنا إلى غرض آخر من أغراضه التقليدية ، كغرض المدح نجده يمدح السلطان عبد الحميد ببعض الشمائل التى استخدمها القدماء ، كالقوة والشجاعة والتفاخر بعراقة الأصل ، والتنافر بالحسب والنسب ، وخلع الخلافة على آبائه وأجداده ، وتفردهم بها وتشبيههم بنجوم السعود تارة ، وبالشمس تارة أخرى فيقول [2] :

بِسَيْفِكَ يَعْلُو الحَقُّ وَالحَقُّ أَغْلَبُ ∴ وَيُنْصَرُ دِينُ اللَّهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ

---

(١) الديوان فى الأدب والنقد – للأستاذ / عباس محمود العقاد وإبراهيم المازنى ص ٢٠ – مطبعة دار الشعب ببيروت .

(٢) الشوقيات ١ / ٤٢ .

وَما السَّيفُ إلّا آيةُ المُلك في الوَرى ∴ وَلا الأمرُ إلا للّذي يَتغلّبُ

فَأدّب بِه القَومَ الطُغاةَ فإنّهُ ∴ لَنعمَ المَربي للطُغاة المُؤدّبُ

وفي موضع آخر يخاطبه بقوله [1] :

سَما بكَ يا " عَبدَ الحَميد " أبوّةٌ ∴ تَلاثونَ خُضّارُ الجَلالَة غُيّبُ [2]

قَياصِرُ أحياناً خَلائفُ تارةً ∴ خَواقينُ طَوراً وَالفَخارُ المُقلّبُ

نُجومُ سُعود المُلك أقمارُ زُهره ∴ لَوَ انّ النُجومَ الزُهرَ يَجمَعُها أبُ

تَواصَوا به عَصراً فَعَصراً فَزادَهُ ∴ مُعَمَّمُهُم مِن هَيبَة وَالمُعَصَّبُ

هُمُ الشَمسُ لَم تَبرَح سَماوات عزّها ∴ وَفيها ضُحاها وَالشُعاعُ المُحَبَّبُ

ولقد قيل : " إن هذا الغرض كان هدفًا لهجمات النقاد المريرة ولوم الشعراء لومًا شديدًا على عكوفهم عليه في عصر يجب أن يتطلع فيه الشاعر إلى الشعب لا إلى الأمراء والخلفاء ويجب أن يبني مجده على شاعريته ومواهبه باستنباط المعاني الجديدة ومجاراة الحياة التي يعيش فيها لا على التمسح بأعتاب الملوك والأمراء وبنظرته العامة إلى الإنسانية لا بنظراته الفردية المحلية " [3] .

ومن ثم فقد أثمرت هذه الهجمات النقدية ثمرتها المرجوة ، وانصرف معظم الشعراء الذين كلفوا بالمديح الشخصي حينًا إلى غيره من أغراض الشعر ، وإذا مدحوا ، فلبطولة فائقة أو لغرض شعبي عام ، أو لعمل وطني جليل ، أو ذهبوا إلى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) أبوة : آباء ، حضار وغيب : جمع حاضر وغائب ، الخواقين : ملوك الترك ، العصابة والتاج : مما لبس سلاطين آل عثمان ، والمعنى : انفردوا بأمراء المسلمين فهم الخلفاء واستوى عرشهم على الغرب والشرق فهم قياصر عظماء وهم ملوك الترك .

(٣) في الأدب الحديث - د / عمر الدسوقي ٢ / ٢٩٠ .

التاريخ يستوحونه أمجادهم ، ومفاخرهم ، والمدح كما يقول الرافعي : " إذا لم يكن بانيًا من التاريخ الصحيح لم يدل على سمو نفس الممدوح ، بل على سقوط نفس المادح ، وتراه مدحًا حين يتلى على مسامعه ، ولكنه ذم حين يعزى إلى قائله ، وما ابتليت لغة من اللغات بالمديح والرثاء ، والهجاء ما ابتليت هذه العربية " [1] .

ونكتفي بهذه النماذج الشعرية التي أتينا بها للاستدلال على ما اتسم به شاعرنا من تقليد ، واحتذاء لمن سبقه من الشعراء ، وسوف نردف هذا الحديث ، بالحديث عن بعض مظاهر التطور والتجديد التي سنقف عليها في ثنايا شعره .

---

(١) وحي القلم - للأستاذ / مصطفى صادق الرافعي ٣ / ٣٢٩ - مطبعة دار الكتاب العربي ببيروت .

مظاهر التجديد فى شعره

أ - التجديد فى الموضوعات القديمة :

الوصف :

تحدثنا فيما سبق عن ظاهرة تأثره ، واحتذائه بالأقدمين والسير على منوالهم فى بعض أغراضه الشعرية ، غير أنه تأثره لم يكن حائلاً بينه ، وبين التجديد فى شعره ، " ففى الطور الأخير من حياته كانت الحرب العالمية الأولى ، ونفيه عن مصر وثورة ١٩١٩ م ، وحركتا التجديد فى مصر ، وفى المهجر قد غيرت الكثير من معالم الحياة والفكر ، فأصبح شوقى أخيرًا أمام مسئولياته الفنية وحدها ، وبدأ بذلك مرحلة التجديد فى شعره " [١] التى برزت آثارها ليس فيما أتى به من أغراض جديدة فحسب ، ولكن فيما شدا به من أغراض تقليدية كغرض الوصف الذى اشتمل على وصفه للطبيعة ، ووصفه للمخترعات الحديثة ، ووصفه لبعض الآثار التاريخية التى أثبتت عظمتها بقدرها على الصمود ، والتغلب على الشدائد ، والخطوب التى ألمت بأرضها .

ففى قصيدته " أنس الوجود " [٢] والتى استهلها بمخاطبة الرئيس الأمريكى الأسبق " روزفلت " أن يخلع نعله ، ويخفض طرفه ، ويظهر خشوعه أثناء إقباله وزيارته هذا القصر الذى لا يقل شأنًا عن الأماكن المقدسة - فى نظره - لكل من وطئت قدماه أرضه .

ثم تأمل الشاعر هيئة هذه القصور التى غمرها المياه فاختفى بعضها وظهر البعض الآخر ، وخلع عليها بقدرته الفنية سمات الحيوية والحركة ، وراح يشبهها

---

(١) رواد التجديد فى الشعر العربى الحديث - د / أنس داود ص ٨٩ - مكتبة عين شمس .

(٢) نظم هذه القصيدة وخاطب فيها الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية " روزفلت " الذى قصد السودان لصيد الوحوش ثم زار مصر لمشاهدة بعض آثارها التاريخية ومنها قصور " أنس الوجود " فى أسوان .

بالعذارى اللاتى يسبحن فى الماء ، فتبدو أجسادهن الشابة البضة حينًا ، ويختفى بعضها حينًا آخر ، ثم وجد فى صورة تماسك جدرانها وتآزر بنيانها ما يماثلها فى صورة الغرقى الذين أمسك بعضهم بعضًا من شدة الخوف ، والذعر الذى ألم بهم .

ثم افصح لنا عن شدة إعجابه بروعة الفن ، وجمال التصميم ، وذلك من خلال وصفه لما احتوت عليه هذه القصور من نقوش زاهية ، وكأن الصانع فرغ من صنعها أمس ، فالزيوت وضاءة وصافية ، والخطوط دقاق تشبه أهداب الظباء دقة وجمالاً ، ورسوم الضحايا تكاد تمشى ، وترعى لو تفتحت فيها الحياة ، وغير ذلك من الآثار الخالدة التى ذكرها الشاعر فى هذه القصيدة التى استهلها بقوله [١] :

أيُّهـا المُنتحـي بأسـوانَ داراً ∴ كالثُريّـا تُريـدُ أن تنقضّـا [٢]

اخلَع النَعلَ وَاخفض الطَرفَ وَاخشَع ∴ لا تُحاول مـن آيـة الـدهر غَضّـا

قف بتلكَ القُصور في اليَمِّ غَرقـى ∴ مُمسكاً بَعضُها مـنَ الـذُعر بَعضـا

كَعَـذارى أخفَـينَ في المـاء بَضّـاً ∴ سـابحات بيـه وَأبـدَينَ بَضّـا

مُشرفات عَلـى الـزَوال وَكانَـت ∴ مُشرفات عَلـى الكَواكـب نَهضـا

شابَ من حَولها الزَمـانُ وَشـابَت ∴ وَشَـبابُ الفُنـون مـازالَ غَضّـا

رُبَّ نَقـش كَأنَّمـا نَفَـضَ الصـا ∴ نـعُ منـهُ اليَـدَين بـالأمس نَفضـا

وَدُهـان كَلامـع الزَيـت مَـرَّت ∴ أعصُـرٌ بالسـراج وَالزَيـت وُضّـا

وَخُطـوط كَأنَّهـا هُـدبُ ريم ∴ حَسُـنَت صَـنعَةً وَطـولاً وَعَرضـا

---

(١) الشوقيات ٢ / ٥٧ .

(٢) البض : الرخص بالجسد ، وضا : وضاء ، ريم : غزال ، أمضى : أخذ ، ألقى : تقربًا ، يترضى : يطلب الرضا ، تقضى : ألفى .

وَضَحايا تَكادُ تَمشي وَتَرعى ∴ لَو أَصابَت مِن قُدرَةِ اللَهِ نَبضا

وَمَحاريبَ كَالبُروجِ بَنَتها ∴ عَزَماتٌ مِن عَزمَةِ الجِنِّ أَمضى

شَيَّدَت بَعضَها الفَراعينُ زُلفى ∴ وَبَنى البَعضَ أَجنَبٌ يَتَرَضّى

ثم يقول :

يا قُصوراً نَظَرتُها وَهيَ تَقضي ∴ فَسَكَبتُ الدُموعَ وَالحَقُّ يُقضى

أَنتِ سَطرٌ وَمَجدُ مِصرَ كِتابٌ ∴ كَيفَ سامَ البِلى كِتابَكِ فَضّا

.....

حارَ فيكِ المُهَندِسونَ عُقولاً ∴ وَتَوَلَّت عَزائِمُ العِلمِ مَرضى

ومثل هذا أيضًا قصيدته فى النيل التى استهلها بكلمة للمستشرق الإنكليزى الشهير " مرجليوث " قال فيها : " وهذه أيها الأستاذ الكريم كلمة قيلت ، والهموم سارية ، والأقدار بالمخاوف جارية ، نظمتها تغنيًا بمحاسن الماضى ، وتقييدًا لمآثر الآباء ، وقضاء لحق النيل ، ونسبتها إليك عرفانًا لفضلك على لغة العرب ، وما أنفقت من شباب وكهولة فى إحياء علومها ونشر آدابها " [1] .

ثم تحدث الشاعر فى مستهل قصيدته عن أصالة النيل ، وعراقته ، وكثرة مياهه ، وعظمة نعمته التى أنعم بها المولى سبحانه وتعالى على أرض مصر الحبيبة ، فكان ذلك سببًا فى قيام العديد من الحضارات ، وانتشار العديد من الممالك والديانات على ضفافه الشاهدة بكثرة عطائه ، وتدفق مياهه ، وإطعامه ، وشرابه لكل من لاذ بجواره إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التى تستطيع أن تقف عليها مِن خلال قوله [2] :

---

(١) الشوقيات ٢ / ٦٥ .

(٢) المرجع السابق .

مِن أَيِّ عَهدٍ فِي القُرى تَتَدَفَّقُ ∴ وَبِأَيِّ كَفٍّ فِي المَدائِنِ تُغدِقُ [1]

وَمِنَ السَماءِ نَزَلتَ أَم فُجِّرتَ مِن ∴ عَلياءِ الجِنانِ جَداوِلاً تَتَرَقرَقُ

وَبِأَيِّ عَينٍ أَم بِأَيَّةِ مُزنَةٍ ∴ أَم أَيِّ طوفانٍ تَفيضُ وَتَفهَقُ

وَبِأَيِّ نَولٍ أَنتَ ناسِجُ بُردَةٍ ∴ لِلضِفَّتَينِ جَديدُها لا يُخلَقُ

تَسوَدُّ دِيباجاً إِذا فارَقتَها ∴ فَإِذا حَضَرتَ اخضَوضَرَ الإِستَبرَقُ

فِي كُلِّ آوِنَةٍ تُبَدِّلُ صِبغَةً ∴ عَجَباً وَأَنتَ الصابِغُ المُتَأَنِّقُ

أَتَتِ الدُهورُ عَلَيكَ مَهدُكَ مُترَعٌ ∴ وَحِياضُكَ الشُرَّعُ الشَهِيَّةُ دُفَّقُ

تَسقي وَتُطعِمُ لا إِناؤُكَ ضائِقٌ ∴ بِالوارِدينَ وَلا خُوَانُكَ يَنفَقُ

وَالماءُ تَسكُبُهُ فَيَسبَكُ عَسجَداً ∴ وَالأَرضُ تُغرِقُها فَيَحيا المُغرَقُ

تُعيي مَتابِعُكَ العُقولَ وَيَستَوي ∴ مُتَخَبِّطٌ فِي عِلمِها وَمُحَقِّقُ

ثم انتقل الشاعر عقب تعداده لمآثر النيل العظيم على تلك الأرض الطيبة إلى الحديث عن الفراعنة وأمجادهم ، وجبروتهم فقال [2] :

وَلَمَن هَياكِلُ قَد عَلا البانِي بِها ∴ بَينَ الثُرَيّا وَالثَرى تَتَسَنَّقُ [3]

مِنها المُشَيَّدُ كَالبُروجِ وَبَعضُها ∴ كَالطَودِ مُضطَجِعٌ أَشَمُّ مُنَطَّقُ

جُدُدٌ كَأَوَّلِ عَهدِها وَحَيالَها ∴ تَتَقادَمُ الأَرضُ الفَضاءُ وَتَعتَقُ

---

(١) المزنة : السحابة الممطرة ، تفهق : فهق الإناء أى امتلأ حتى صار يتصبب ، النول : خشبة الحائك ينسج عليها ، يخلق : يبلى ، الاستبرق : الحرير ، مترع : ممتلئ ، الشرقى : الغرقى ، ينفق : يفنى ويقل .

(٢) الشوقيات ٢ / ٦٧ .

(٣) تتسنق : تنتظم ، منطق : مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه ، تعتق : من عتق الشيء قدمه .

من كُلِّ ثقل كاهلُ الدُنيا بـه ∴ تعبٌ وَوَجهُ الأرض عنهُ ضيِّقُ

عال على باع البِلى لا يَهتدي ∴ ما يَعتلي منهُ وَما يتسلّقُ

مُتمكّنٌ كالطود أصلاً في الثرى ∴ وَالفرعُ في حَرَم السماء مُحلّقُ

هيَ من بناء الظُلم إلا أنّهُ ∴ يَبيضُّ وَجهُ الظُلم منهُ وَيُشرقُ

لَم يُرهق الأمَمَ المُلوكُ بمثلها ∴ فَخراً لَهُم يَبقى وَذكراً يَعبَقُ

لقد أشار الشاعر فى هذه الأبيات السابقة إلى براعة ما صنعه أولئك الفراعنة من هياكل شامخة ، منها البروج المشيدة ، والأطواد العالية التى تتسم بالشموخ ، والانتظام وحداثة المبنى ، وروعة البنيان رغم تقادم عهدها ، وتالد أرضها ، ولو أن هؤلاء الفراعنة قد شيدوا هذه القصور والهياكل العظيمة ، والآثار الخالدة بالظلم ، والاستبداد إلا أنها صارت مع الأيام فخرًا وعزًا للبلاد .

وأغلب الظن أن حديث شوقى عن ظلم الفراعنة واستبدادهم أثناء تشييدهم لهذه الآثار جاء ترديدًا لما ذكره " بعض المؤرخين من الإفرنج أن الفراعنة شادوا آثارهم بالعسف ، والاضطهاد وتسخير الشعب ، واستغلال خيرات مصر ، وتناسوا أن الفراعنة كانوا يمنحون العمال أجورًا على عملهم ، وكانوا يشغلونهم فى موسم الفيضان حيث لا زراعة ولا عمل لأن الأرض مغمورة بالماء فمن الحكمة شغل الأيدى العاملة ، وقد شغلها الفراعنة فى عمل مجيد خالد [1]

ومع ذلك فقد وجدت الشاعر يدافع عن أولئك الفراعنة دفاعًا يستمد أدلته وبراهينه من التاريخ فيقول [2] :

(١) وطنية شوقى - د / أحمد الحوفى ص ١٤٣ ، مطبعة دار نهضة مصر .

(٢) الشوقيات ١ / ٢٦٩ .

وَلَستُ بقائل ظَلَموا وَجاروا ∴ عَلى الأجراء أو جَلَدوا القَطينا [1]

فَإنّا لَم نُوَقِّ النقصَ حَتى ∴ نُطالِبَ بالكَمال الأوّلينا

وَما البَستيلُ إلا بنتُ أمس ∴ وَكَم أكَلَ الحَديدُ بها صَحينا

وَرُبَّةَ بيعَةٍ عَزَّت وَطالَت ∴ بَناها النّاسُ أمسِ مُسخرينا

مُشيَّدَة لشافي العُمى " عيسى " ∴ وَكَم سَمَلَ القُسوسُ بها عُيونا

فهو يفترض جدلاً أنهم ظلموا ، ولكن أين ظلمهم من ظلم الحكومات الأوربية فى عهد " شارل الخامس " ملك فرنسا ١٤٦٩ م الذى أذاق رجالات العلم ، والفضل اشد أنواع العذاب فى سجن " البستيل " الذى هلك فيه العديد من الفلاسفة ، والمصلحين العظماء ، فإذا كانت أوربا ، وما زالت لم تسلم حكوماتها من الظلم والاستبداد ، فكيف نلبس الفراعنة ثوب الكمال الذى لم يعرفه هذا العالم الحديث .

وهكذا استمر الشاعر أحمد شوقى فى حديثه عن هذه الآثار التاريخية التى فتنته ، فقدم لنا أربع قصائد فى " توت عنخ آمون " [2] ، وكذلك قصيدة فى " أبى الهول " [3] ، وكذلك قصيدة " كبار الحوادث فى وادى النيل " [4] التى تعرض فيها للآثار بصفة عامة ، وغير ذلك من القصائد التى جعلت بعض الأدباء المحدثين يقول :

(١) القطين : الخدم ، لم نوق النقص : لم نحفظ منه ، البستيل : سجن ثار الفرنسيون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم هدم البستيل فهدموه وأخذت كل أحجاره فجعلها النسوة عقودًا يتحلين بها إشارة لغلبة الأمة على الظلم وكان أخذه فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ وقد أقيم مكانه تمثال الحرية ، ويحتفل الفرنسيون بذكراه إلى الآن ، البيعة : بكسر الباء : معبد النصارى ، مسخرين : أى كلفوا عملهم بدون أجرة ، سمل العين : فقأها بحديدة محماة وقلعها .

(٢) الشوقيات ١ / ٢٦٦ .

(٣) الشوقيات ١ / ١٣٢ .

(٤) الشوقيات ١ / ١٧ .

" لم أجد فى الشعراء السابقين لشوقى ، أو المعاصرين له من أشاد بالآثار بعض إشادة شوقى ، ولا برع فى وصفها ، والفخار بها بعض ما برع شوقى والفخر " [١] .

كما دعته الحياة الجديدة إلى وصف ما هو كائن فيها من بعض المظاهر الخارجية ، كالطائرة التى حظيت بثلاث قصائد فى شعره إحداها بعنوان " آية العصر فى سماء مصر " نظمها عند قدوم الطيارين " فدرين " و " يونيه " طائرين من باريز إلى مصر عام ١٩١٤ م تحدث فى مستهلها عما وصلت إليه فرنسا من رقى حضارى بسبب هذا المخترع الذى نعته بالريح ، وبالخيل ذات الجناح ، وغير ذلك من الصفات الملائمة لسرعته ، وبراعته فى الطيران فوق السحاب المرتفع ، فيقطع رحلة المشرق ، والمغرب فى صباح مساء فحسب ، على حد تعبيره الوارد فى قوله [٢] :

يا فَرَنسا نلتِ أسبابَ السَماء ∴ وَتَمَلَّكتِ مَقاليدَ الجواء [٣]

غُلِبَ النسرُ عَلى دَولَته ∴ وَتَنَحّى لَك عَن عَرش الهَواء

وَأَتَتك الريحُ تَمشي أَمَةً ∴ لَك يا بَلقيسُ من أوفى الإماء

رُوِّضَت بَعدَ جماح وَجَرَت ∴ طَوعَ سُلطانَين علمٍ وَذَكاء

لَك خَيلٌ بِجَناح أَشبَهَت ∴ خَيلَ جبريلَ لَنصر الأَنبياء

وَبَريدٌ يَسحَبُ الذَيلَ عَلى ∴ بُرُد في البَرِّ وَالبَحر بطاء

رحلَةُ المَشرق وَالمَغرب ما ∴ لَبِثَت غَيرَ صَباح وَمَساء

---

(١) وطنية شوقى - د / أحمد الحوفى ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٣ .

(٣) أسباب السماء : مراقيها ، الأمة : المملوكة ، بلقيس : صاحبة نبى الله سليمان الذى سخرت له الريح ، برد : جمع بريد ، بطاء : جمع بطىء ، العماد : السحاب المرتفع أو المطر .

وفى المناسبة نفسها نظم قصيدته الثانية " الطيارون الفرنسيون " واستهلها بقوله [١] :

قُم " سُلَيمانُ " بساطُ الريح قاما ∴ مَلَكَ القَومُ مِنَ الجَوِّ الزِماما [٢]

حينَ ضاقَ البَرُّ وَالبَحرُ بهم ∴ أَسرَجوا الريحَ وَساموها اللجاما

صارَ ما كانَ لَكُم مُعجِزَةً ∴ آيَةً للعالَم آتاها الأَناما

قُدرَةٌ كُنتَ بِها مُنفَرِداً ∴ أَصبَحَت حِصَّةَ مَن جَدَّ اعتزاما

أما قصيدته الثالثة " النسر المصرى " فقد قالها بمناسبة قدوم " صدقى " الطيار المصرى الأول من برلين إلى القاهرة طائرًا فى سنة ١٩٣٠ م واستهلها بقوله [٣] :

أَعُقابٌ فِي عَنانِ الجَوِّ لاح ∴ أَم سَحابٌ فَرَّ من هَوجِ الرياح [٤]

أَم بساطُ الريح رَدَّتهُ النَوى ∴ بَعدَ ما طَوَّفَ في الدَهر وَساح

أَو كَأَنَّ البُرجَ أَلقى حوتَهُ ∴ فَتَرامى في السَماوات الفساح

أَقبَلَت مِن بُعدِ تَحسَبُها ∴ نَحلَةً عَنَّت وَطَنَّت في الرياح

يا سِلاحَ العَصرِ بُشِّرنا بِهِ ∴ كُلُّ عَصرٍ بِكَمِيٍّ وَسِلاح

إِنَّ عِزّاً لَم يُظَلِّل في غَدٍ ∴ بِجَناحَيكَ ذَليلٌ مُستَباح

فَتَكاثَر وَتَآلَف فَيلَقاً ∴ تَعصِمُ السِلمَ وَتَعلو لِلكِفاح

---

(١) المرجع السابق ص ٨٨ .

(٢) سام : من سام فلانًا الأمر : كلفه إياه .

(٣) المرجع السابق ٢ / ١٥٦ .

(٤) الزانى : ذنب الطائر وفى جناح الطائر أربع ذنابى بعد الخوافى .

مصرُ للطَّير جَميعاً مَسْرَحٌ ∴ ما لَنا فيه ذُنابى أو جَناح

لقد أفصح لنا الشاعر فى أبياته السابقة عن إعجابه ، وزهوه بهذه الطائرة التى تطير فى الجو ، وكأنها " عقاب " أو " بسط الريح " أو " نحلة " عنت ، وطنت فى الرياح إنها سلاح العصر ، ورمز القوة والعزة ، والكفاح ، فسماء مصر مسرح للجميع ، وأرضها مهبط ، واستراحة للمستريحين ، ثم راح يحث الشباب على الطموح ، والتأسى بهذا الفتى الذى يعد أول عصفور هز فى الجو جناحيه ، وطار حتى ناطح النجم ، وجاوز النيل ، وشاطئيه ، وبلغ جبال الشام ببراعته وحسن قيادته .

ب - الموضوعات الجديدة فى شعره :

الشعر الوطنى :

لقد كان لهذا الغرض الشعرى - الذى كان يسمى قديمًا بالشعر السياسى - جذور ممتدة من العصر الأموى ؛ وذلك " بسبب الصراعات الحزبية التى كانت قائمة بين الأمويين من جهة ، والشيعة والخوارج ، والزبيريين وغيرهم من جهة أخرى .. " [1] ولم تخمد جذوة هذا الفن إلا بضعف هذه الأحزاب واضمحلالها ، وإخماد ثورتها على أيدى الخلفاء العباسيين .

وفى العصر الحديث ظهر هذا الفن الشعرى أيضًا بظهور الصراعات التى كانت قائمة بين سلطة القصر ، والاحتلال من ناحية ، وبين الوطنيين من ناحية أخرى ، فعاد الشعر السياسى مرة أخرى ، ولكن تحت مسمى جديد وهو الشعر الوطنى ، ونظرًا لولاء الشاعر أحمد شوقى إلى القصر ، فقد جاءت وطنيته فى بادئ الأمر متلائمة مع سياسة القصر ، فقد جنح إلى سياسة الحياد ، وآثر الإيحاء على التصريح ، والإفصاح فى كثير من القضايا والأحداث السياسية التى حلت بوطنه ،

---

(١) السياسة فى العصر الأموى - د / أحمد الحوفى ص ٢٩ - مطبعة دار نهضة مصر .

ويؤكد هذا صمته الرهيب تجاه الكارثة التى حلت بأهل دنشواى " فى يوم الأربعاء ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ م عندما قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين ، فاصطدموا بالإنجليز ، فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومى فيها إبراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف ، وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وحبس ثمانية منهم ، ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ، ومسمع من أهله ، وكان ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس ، وأطلق ألسنة الوطنيين ، وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة نشرت فى ٣ يوليو سنة ١٩٠٦ م " [1] .

لقد هزت هذه الحادثة وجدان الشعب المصرى بأكمله ، وتألم لمصابها ذوو القلوب الرحيمة من المصريين ، وغيرهم ، وبدلاً من أن يساهم الشاعر أحمد شوقى بالتعبير عن هذا الخطب الجليل ، ويتخذ لسانه سيفًا صارمًا يسلطه على رقاب أولئك الذين انتزعت من قلوبهم الرحمة نجده " يصمت عامًا كاملاً ، ثم نطق مرتين : الأولى سنة ١٩٠٧ م بطلب العفو عن سجناء دنشواى ، والثانية إذ ذكر كرومر بويلات حكمه ، وسيطرته على القضاء ، ومحاباته أحد قضاة دنشواى بترقيته وكيلاً لوزارة الحقانية " [2] .

أما قصيدته الأولى التى قالها بعد مرور عام على هذه الحادثة ، فقد رثى فيها دنشواى ، وما حل بها من خراب ودمار ، وكذلك رثى أهلها الذين تفرقت بهم

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم جـ ٢ هامش ص ٢٩١ .

(٢) وطنية شوقى - د / أحمد الحوفى ص ١٦٨ ، قيل : إن أحد فتحى زغلول باشا كان أحد قضاة المحكمة المخصوصة التى شكلت لمحاكمة أهل دنشواى وكان رئيسًا لمحكمة مصر الابتدائية الأهلية عينه كرومر وكيلاً لوزارة الحقانية .

السبل ، وخيمت عليهم الكآبة ، وأظلتهم الأحزان لتمزق شملهم ، وكثرة ضحاياهم من قتلى وسجناء ، وأرامل ، وأيتام فقال [1] :

يا دنشوايَ عَلى رُباك سَلامُ ∴ ذَهَبَت بأُنس رُبوعك الأيّامُ

شُهَداءُ حُكمك في البلاد تَفرّقوا ∴ هَيهاتَ للشَمل الشَتيت نظامُ

مَرّت عَليهم في اللُحود أهلّةٌ ∴ وَمَضى عَليهم في القُيود العامُ

كَيفَ الأَرامِلُ فيك بَعدَ رجالها ؟ ∴ وَبأيِّ حال أصبَحَ الأيتامُ ؟

يا لَيتَ شعري في البُروج حَمائمٌ ∴ أم في البُروج مَنيَّةٌ وَحمامُ

" نيرونُ " لَو أدرَكتَ عَهدَ " كَرومر " ∴ لَعَرَفتَ كَيفَ تُنَفَّذُ الأحكامُ

ثم صور لنا ما ألم بأهل هذه البلدة من الروع ، والفزع الذى كان يطل عليهم بين آن ، وآخر كلما تخيلوا هول الفجيعة الذى ظل ماثلا أمام عيونهم حال يقظتهم ونومهم ، وتذكروا وحشية الانتقام الذى تمثل فى السياط التى سلطت من قبل زبانية جهنم على هؤلاء الأبرياء ، والمشانق التى نصبت ، والأجساد التى علقت ، والرقاب التى شنقت ، وغير ذلك من الصور البشعة التى تركت آثارَ الأسى والحزن على وجوه الثاكلين ، والثكالى على حد تعبيره الوارد فى قوله [2] :

نوحي حَمائمَ دنشوايَ وَرَوِّعي ∴ شَعباً بوادي النيل لَيسَ يَنامُ

إن نامَت الأحياءُ حالَت بَينَهُ ∴ سَحراً وَبَينَ فراشه الأحلامُ

مُتَوَجِّعٌ يَتَمَثَّلُ اليومَ الَّذي ∴ ضَجَّت لشِدَّة هَوله الأقدامُ

(١) الشوقيات ١ / ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق .

السوطُ يَعمَلُ وَالمَشانقُ أربَعٌ ∴ مُتَوَحِّداتٌ وَالجُنودُ قيامُ

وَالمُستَشارُ إلى الفَظائع ناظرٌ ∴ تُدمى جُلودٌ حَولَهُ وَعظامُ

في كُلِّ ناحيَة وَكُلِّ مَحَلَّة ∴ حَزعاً مِنَ المَلأ الأسيف زحامُ

وَعَلى وُجوه الثاكلينَ كَآبَةٌ ∴ وَعَلى وُجوه الثاكلات رُغامُ

كما خيبت وطنيته تجاه بعض الزعماء الوطنيين ، كالزعيم مصطفى كامل الذى كان " على صلة وثيقة به منذ صباه ، ومن أصدق أصدقائه ، وأكثرهم إعجابًا به ، وكان مصطفى كامل يبادله الإعجاب يدل على ذلك قوله فى كتاب لمحمد فريد : وإذا قابلت شوقى فقبله لى مرتين ، وقل له أن يرسل ما طبع من ديوانه مع صورته ، وأعطه عنوانى " [1] .

ومع ذلك فعندما توفى الزعيم مصطفى كامل لم يستطع الشاعر أن يعبر عما يجيش فى صدره من مشاعر الألفة ، والمودة تجاه الزعيم الوطنى ، فجاءت مرثيته الأولى له عبارة زفرات ملتهبة ، وأنات موجعة من صديق على صديق ، وليس فيها من الإشادة بجهاد مصطفى كامل فى السياسة والوطنية ، أو كما يقول بعض الأدباء :" رثى بقصيدته هذه صديقًا حميمًا ، ولم يرث زعيمًا عظيمًا ووطنيًا ،وإمامًا من أئمة الجهاد ؛ لأنه قد تأثر فى رثائه بسياسة القصر حينذاك ؛ ولأن علاقة مصطفى كامل بعباس قد انقطعت " [2] ومن ثم فقد جاءت مرثيته معبرة عن بعض الشمائل التى كان يتحلى بها ذلك الزعيم الوطنى ، كخدمته للإسلام ، ودعوته للعلم ، وجهاده فى سبيل الله ،

(١) وطنية شوقى - د / أحمد الحوفى ص ٩٩ .

(٢) فى الأدب الحديث - د / عمر الدسوقى ٢ / ١٠٠ .

وتحليته بمكارم الأخلاق ، وامتلاء قلبه ، ووجدانه بالأمانى والآمال ، وغير ذلك من الشمائل التى تستطيع أن تقف عليها من خلال رثائه بقوله [1] :

المشرقان عليكَ ينتحبان ∴ قاصيهما في مأتم وَالداني

يا خادمَ الإسلام أجرُ مُجاهد ∴ في الله من خُلد وَمن رضوان

لمّا نُعيتَ إلى الحجاز مشى الأسى ∴ في الزائرين وَرُوِّعَ الحَرَمان

.....

إن كانَ للأخلاق رُكنٌ قائمٌ ∴ في هذه الدُنيا فأنتَ الباني

بالله قُلْ عن فُؤادكَ في الثرى ∴ هل فيه آمالٌ وَفيه أماني

وجدائكَ الحيُّ المُقيمُ على المدى ∴ وَلربَّ حَيٍّ ميت الوجدان

.....

ولقد علق بعض الأدباء على هذه المرثية بقوله [2] : " ولاشك أن شوقى قد تأثر فى رثائه هذا بسياسة القصر حينذاك ، وهى سياسة الحيدة ، والتحفظ أمام كل ما يؤذى الإنجليز أو يغضبهم ، أضف على هذا أن علاقة مصطفى كامل بعباس قد انقطعت أو كادت فى أخريات حياته ، بل كان مصطفى كامل قاسيًا فى انتقاده لتصرفات عباس ، وميوله نحو الإنجليز وتساهله معهم ، وكان شوقى كلما اقترب فى هذه القصيدة من الناحية السياسية كقوله :

هَل قامَ قَبلَكَ في المَدائن فاتحٌ ∴ غازٍ بغير مُهَنَّد وَسنان

---

(١) الشوقيات ٣ / ١٥٧ .

(٢) فى الأدب الحديث ٢ / ١٠١ .

ونظن أنه سينتقل إلى جهاد مصطفى كامل ، وكيف أثار الحمية والعزيمة فى النفوس إذ بك تراه يفاجئك بشىء آخر بعيد عن هذا بقوله :

يَدعو إلى العلم الشريف وَعندهُ ∴ أنَّ العُلومَ دعائمُ العُمران

وبعد أن زالت الأسباب التى كانت تلج لسانه ، وتشل بيانه أعطى هذا الزعيم حقه إذ انتهز فرصة مرور سبعة عشر عامًا على وفاته ، وبعد أن عاد شوقى من منفاه ، ورأى أن الدنيا قد تغيرت ، والثورة المصرية قد تأجج سعيرها ، وهبت مصر تدعو إلى الاستقلال التام ، أو الموت الزؤام ، فقال قصيدته التى استهلها بقوله [1] :

إلامَ الخُلفُ بَينكُمُ إلاما ؟ ∴ وَهذي الضَجَّةُ الكُبرى عَلام ؟

وَفيمَ يَكيدُ بَعضُكُمُ لِبَعض ∴ وَتُبدونَ العَداوَةَ وَالخِصام ؟

ثم انتقل بعد ذلك إلى ذكرى فقيد الوطنية مصطفى كامل فوفاه حقه بقوله :

شَهيدَ الحَقِّ قُم ثَرهُ يَتيماً ∴ بِأَرض ضُيِّعَت فيها اليَتامى [2]

أقامَ عَلى الشفاه بها غَريباً ∴ وَمَرَّ عَلى القُلوب فَما أقاما

سَقمتَ فَلَم تَبت نَفسٌ بِخَير ∴ كَأَنَّ بِمُهجَةِ الوَطَن السَقاما

وَلَم أَرَ مثلَ نَعشكَ إذ تَهادى ∴ فَغَطّى الأَرضَ وَانتَظَمَ الأَناما

تَحَمَّلَ هِمَّةً وَأَقَلَّ ديناً ∴ وَضَمَّ مُروءَةً وَحَوى زِماما

وَما أَنساكَ في العشرينَ لَمّا ∴ طَلَعتَ حيالَها قَمَراً تَماما

---

(١) الشوقيات ١ / ٢٢١ . نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل ، وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد فى سنة ١٩٢٤ م من القسام وتشاحن وتناحر وأشار إلى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله .

(٢) أى تلفظه الأفواه ولا تحس به القلوب ، قادى : تمايل على الأعناق ، زمام القوم : مقدمهم وصاحب أمرهم ، قس : قس بن ساعدة ويضرب به المثل فى بلاغة الخطباء ، الأدم : الوجه والصفحة .

يُشارُ إليكَ في النادي وتُرمى ∴ بعَيْني مَن أحَبَّ ومَن تَعامى

إذا جئتَ المَنابرَ كُنتَ قُسّاً ∴ إذا هُوَ في عُكاظَ عَلا السَّناما

وأنتَ آلةٌ للحَقِّ اهتزازاً ∴ وألطَفُ حينَ تَنطقُهُ ابتساما

وتحمِلُ في أديمِ الحَقِّ وَجهاً ∴ صُراحاً لَيسَ يَتَّخذُ اللثاما

وهكذا استمر أحمد شوقى - بعد أن تخلص من أسره فى القفص الذهبى الذى صنعه القصر له - فى الإفصاح عما يكمن فى نفسه من وطنية عارمة تجاه مصر فنراه يقول فى قصيدته التى استقبل بها بعد عودته من منفاه سنة ١٩٢٠ م [1] :

وَيا وَطَني لَقيتُكَ بَعدَ يَأس ∴ كأنّي قَد لَقيتُ بِكَ الشَبابا [2]

وكُلُّ مُسافرٍ سَيَئوبُ يَوماً ∴ إذا رُزِقَ السَلامَةَ وَالإيابا

وَلَو أنّي دُعيتُ لَكُنتَ دَيني ∴ عَلَيه أُقابِلُ الخَتمَ المُجابا

أُديرُ إليكَ قَبلَ البَيتِ وَجهي ∴ إذا فُهتُ الشَهادَةَ وَالمَتابا

وبديوانه العديد من القصائد المعبرة عن وطنيته ، وشدة شغفه بحب مصر ، كقصائده فى عيد الاستقلال ، وعن الدستور ، وعن مصريته ، ومخاطبته للشباب ، وحثهم على التعاون ، والاقتصاد ، وجمع التبرعات التى تساهم فى صنع الوطن ، وغير ذلك من القصائد التى تشعرنا بأن جذوة وطنيته لم يخمدها القصر ، ولا أغلاله ، بل ظلت كامنة فى نفسه حتى سنحت له فرصة التعبير عما يجيش فى صدره من حب ، ووفاء ، وإخلاص لوطنه وأبناء وطنه .

---

(١) الشوقيات ١ / ٦٦ .

(٢) دعيت إلى الموت : توديت .

الشعر الاجتماعى :

اتخذ أحمد شوقى من هذا الفن وسيلة للتعبير عن قضايا المجتمع التى كانت سببًا فى ضعف أبنائه ، وتأخرهم كالجهل ، والفقر ، والمرض ، وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية التى كانت سائدة فى عصره ، بسبب الاحتلال ، ومساوئه التى أظلت أبناء وطنه ، وبخاصة حرمانهم من التعليم " فقد كان من أثر الاحتلال وتعويقه نهضة العلم ، والتعليم أن صارت المدارس لا تعلم إلا مما يعد للوظيفة الحكومية ، وصار التعليم عاجزًا لا يعد للمستقبل ؛ لأن برامجه محدودة ممسوخة " [1] .

ومن مساوئه أيضًا " وخاصة فى عهد كرومر أنه اقتصر على تعلم الطلاب الإنجليزية ليحارب اللغة العربية " [2] .

ومن هنا ، فقد تعالت الصيحات لإزاحة كابوس الجهل الذى تفشى بين أبناء هذا الوطن ، ونادى المصلحون ، والمثقفون ، مثل مصطفى كامل بإنشاء الجامعة المصرية ، ولم يكفوا عن هذا النداء حتى استجيب لمطلبهم ، وأنشئت الجامعة المصرية ، وأقيم لها افتتاح عام ١٩٣١ م ، وتغنى الشعراء بهذا الصرح الحضارى ، وكان من بينهم أحمد شوقى الذى قال [3] :

تاجَ البِلادِ تَحيَّةٌ وَسَلامُ ∴ رَدَّتكَ مصرُ وَصَحَّتِ الأحلامُ [4]

العلمُ وَالمُلكُ الرَفيعُ كلاهُما ∴ لَكَ يا فُؤادُ جَلالَةٌ وَمَقامُ

فَكَأنَّكَ المَأمونُ في سُلطانه ∴ في ظِلِّكَ الأعلامُ وَالأقلامُ

.....

---

(١) وطنية شوقى - د / أحمد الحوفى ص ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦١ .

(٣) الشوقيات ٣ / ١٠ .

(٤) المأمون بن الرشيد العباسى وعصره من أزهى عصور الدولة الإسلامية .

وفى موضع آخر أشاد بالمعلم ، والتعليم ، وأبرز ما للمعلم ، وما عليه من حقوق ، وواجبات فقال [1] :

قُم للمُعَلِّم وَفِّه التبجيلا ∴ كادَ المُعَلِّمُ أن يَكونَ رَسولا

أعَلمتَ أشرفَ أو أجَلَّ منَ الَّذي ∴ يَبني وَيُنشئُ أنفُساً وَعُقولا

سُبحانكَ اللَهُمَّ خَيرَ مُعَلِّم ∴ عَلَّمتَ بالقَلَمِ القُرونَ الأولى

أخرَجتَ هَذا العَقلَ من ظُلُماته ∴ وَهَدَيتَهُ النورَ المُبينَ سَبيلا

وَطَبَعتَهُ بِيَدِ المُعَلِّم تارَةً ∴ صَدئَ الحَديدُ وَتارَةً مَصقولا

أرسَلتَ بالتوراة موسى مُرشِداً ∴ وَابنَ البَتول فَعَلَّم الإنجيلا

وَفَجَرتَ يَنبوعَ البَيان مُحَمَّداً ∴ فَسَقى الحَديثَ وَناوَلَ التَرتيلا

وعندما برزت على مسرح الأحداث الاجتماعية قضية سفور المرأة التى نادى بها قاسم أمين وقف الشاعر موقف المعارض لهذه الدعوة التى تتنافى مع عاداتنا ، وقيمنا الأخلاقية ، ومبادئنا الإسلامية ، فنجده يخاطب بعض المؤيدين لهذه الدعوة فيقول [2] :

صَداحُ يا مَلِكَ الكَنا ∴ رِ وَيا أميرَ البُلبُل

قَد فُزتَ منكَ بمَعبَد ∴ وَرُزقتَ قُربَ الموصلي

.....

ما كُنتَ يا صَداحُ عن ∴ دَكَ بالكَريم المُفضَل

شَهِدَ الحَياةَ مَشوبَةً ∴ بالرقِّ مثلُ الحَنظَل

وَالقَيدُ لَو كانَ الجُما ∴ نُ مُنَظَّماً لَم يُحمَل

---

(١) الشوقيات ١ / ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ١ / ١٧٧ خاطب بهذه القصيدة الشاعرة " ملك ناصف " .

يا طَيرُ لَولا أن يَقو ∴ لوا جُنَّ قُلتُ تَعَقَّل

اسمَع فَرُبَّ مُفَصَّل ∴ لَكَ لَم يُفِدكَ كَمُجمَل

.....

كما شدا بالمرأة المصرية فى الحفل الذى أقيم بمسرح حديقة الأزبكية مشيدًا بما تتحلى به هذه المرأة من الصفات الحسية ، والمعنوية ، ثم وازن بين المرأة المصرية التى نمت ، وترعرعت فى ظل القيم والمبادئ الإسلامية العربية ، وبين المرأة الأوروبية التى تفرقت بها السبل فى ظل الحضارة الأوربية .

ثم أشاد بكتاب الله عز وجل ، وبسنة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - وما لهما من فضل فى إعطاء المرأة كافة حقوقها التى كانت سببًا فى رفع شأنها وعلو منزلتها ، ومشاركتها فى جميع المجالات العلمية ، والسياسية والتجارية كما هو واضح فى قوله [1] :

قُم حَيِّ هَذي النَيِّرات ∴ حَيِّ الحِسانَ الخَيِّرات

وَاخفِض جَبينَكَ هَيبَةً ∴ لِلخُرَّدِ المُتَخَفِّرات

زَيِّن المَقاصِرَ وَالحِجا ∴ لَ وَزَيِّن محرابَ الصَلاة

.....

ماذا لَقيتَ مِنَ الحَضا ∴ رَةِ يا أُخَيَّ الزَهرات

لَم تَلقَ غَيرَ الرقِّ مِن ∴ عُسرٍ عَلى الشَرقِيَّات

خُذ بالكِتاب وَبالحَدي ∴ ثِ وَسيرَةِ السَلَف التُقاة

وَارجِع إلى سِنِّ الخَلى ∴ قَةِ وَاتبَع نُظُمَ الحَياة

هَذا رَسولُ اللَهِ لَم ∴ يُنقِص حُقوقَ المُؤمِنات

---

(١) المرجع السابق ١ / ١٠٢ .

العلـــمُ كـــانَ شـــريعَةً ∴ لنـــــائه المُتفقّهـــــات

.....

وإذا كان الشاعر لم يساهم مساهمة فعالة بشعره فى التعبير عن مشكلة الفقر ؛ نظرًا لحياة الترف التى كان يعايشها داخل القصر ، وعدم مخالطته للطبقة التى كانت تعانى من حياة البؤس ، والشقاء إلا أنه عندما حدث حريق ميت غمر اهتزت مشاعره لهذه الحادثة ، وتحركت شاعريته بالتعبير عن آثارها السيئة على الأطفال ، والنساء ، والشيوخ ، ولم يكتف بهذا وإنما راح يستحث القادرين لإغاثة أولئك المنكوبين فى أولادهم ، وذويهم ، وممتلكاتهم ، فقال [1] :

اللـــهُ يَحكُـــمُ فِي المَـــدائن وَالقُـــرى ∴ يا ميتَ غَمرَ خُذي القَضاءَ كَما جَرى

ما جَلَّ خَطـــبٌ ثُـــمَّ قِـــيسَ بِغَـــيره ∴ إلا وَهَوَّنَـــــهُ القِيـــــاسُ وَصَـــغَّرا

فَسَلي "عَمورَةَ" أو "سدونَ" تَأَسِّياً ∴ أو "مَرتَنيقَ" غَداةَ وُورِيَـــت الثَـــرى

مُدنٌ لَقِـــينَ مِـــنَ القَضـــاء وَنـــاره ∴ شَـــرَراً بِجَنـــب نَصـــيبها مُستَصـــغَرا

هَـــذي طُلولُـــك أنفُـــساً وَحجـــارَةً ∴ هَل كُنت رُكناً مِـــن جَهَـــنَّمَ مُســـعَرا

قَد جِئـــتُ أبكيهـــا وَآخُـــذُ عِـــبرَةً ∴ فَوَقَفـــتُ مُعتَبِـــراً بِهـــا مُســـتَعبِرا

أجِـــدُ الحَيـــاةَ حَيـــاةَ دَهـــر ســـاعَةً ∴ وَأَرى النَعِـــيمَ نَعِـــيمَ عُمـــر مُقصـــرا

وَأَعُدُّ مِن حَـــزم الأُمـــور وَعَزمِهـــا ∴ لِلـــنَفس أَن تَرضـــى وَأَلّـــا تَضـــجَرا

ما زِلـــتُ أَسمَـــعُ بِالشَـــقاء روايَـــةً ∴ حَتّى رَأَيـــتُ بِـــكَ الشَـــقاءَ مُصَـــوَّرا

.....

(١) المرجع السابق ٤ / ٤٥ .

وبهذا فقد أدلى الشاعر بدلوه مع بعض شعراء عصره الذين شمروا عن ساعد الجد لمعالجة ما هو كائن فى مجتمعهم من أدواء كالجهل والفقر والمرض والانحلال ، والغلاء ، وغير ذلك من صنوف الفساد الاجتماعى التى كانت ذائعة فى مجتمعهم حينذاك .

الاتجاه التاريخى :

قال بعض الباحثين : " إن شوقى قد فطن منذ إقامته فى فرنسا إلى الاتجاه التاريخى فى قرض الشعر ، ومن المؤكد أنه سمع ورأى الفرنسيين يشيدون بملحمة فيكتور هيجو التاريخية (أسطورة القرون) ، وخاصة أن إقامته فى فرنسا كانت عقب وفاة الشاعر الضخم مباشرة ، وكان ذكره لا يزال يتردد على كافة الألسنة ، وأحس شوقى بأن فى التغنى بأمجاد الماضى ما يغذى وجدان شعبه الذى كان يحرص كل الحرص على نيل إعجابه ليصبح أمير الشعراء بعد أن أصبح شاعر الأمراء " [1] .

وإذا كان عنصر التأثر له دور فى لفت نظر الشاعر إلى هذا الاتجاه ، فإنه لا يغيب عن بالنا الإحساس بروح العصر الذى اهتم أبناؤه اهتمامًا ملحوظًا ببعث الحضارة العربية فى عصر ازدهارها الدينى ، والسياسى ، ومن ثم فقد كان شوقى أكثر الشعراء اهتمامًا بالاتجاه التاريخى فى شعره ، نظرًا لارتباطه الوثيق آنذاك بالقصر الذى كان يستمد سلطانه من خليفة المسلمين ، فشغل نفسه بقراءة التاريخ ، ووجد فى سير عظماء الشخصيات الإسلامية ، وتاريخ الإسلام الحضارى للأمة العربية ينبوعًا ثجاجًا استمد منه مدائحه فى المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - وكذلك حديثه عن المجد الإسلامى الذى خصص له ديوانًا مستقلاً سماه " دول العرب وعظماء الإسلام " .

كما حرص شوقى على جذب الشعب إلى الخلافة ، وممثليها فى مصر ، فبدأ يعزف على قيثارته ، ويضرب على أوتارها أعذب الألحان الإسلامية التى كان وما زال رنينها يشجى كل سامع ، وقارئ من أبناء الأمة الإسلامية وبخاصة " الهمزية النبوية "

(١) أعلام الشعر العربى الحديث ٤٦ - منشورات المكتبة التجارية بيروت .

التى استهلها بالحديث عن مولد النبى - صلى الله عليه وسلم - وأثر ولادته على جميع المخلوقات الكونية التى هللت وكبرت حمدًا . وشكرًا للمولى جل وعلا بما أنعم عليها بخير من جاء به إلى هذا الوجود فقال [1] :

وُلِدَ الهُدى فَالكائناتُ ضِياءُ ∴ وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ

الروحُ وَالمَلأُ المَلائِكُ حَولَهُ ∴ للدينِ وَالدُنيا بِهِ بُشَراءُ

وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي ∴ وَالمُنتَهى وَالسِدرَةُ العَصماءُ

وَحَديقَةُ الفُرقانِ ضاحِكَةُ الرُبا ∴ بِالتُرجُمانِ شَذِيَّةً غَنّاءُ

وَالوَحيُ يَقطُرُ سَلسَلاً مِن سَلسَلٍ ∴ وَاللَوحُ وَالقَلَمُ البَديعُ رُواءُ

.....

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن شمائله - صلوات الله وسلامه عليه - كجمال خَلْقه ، وكما خُلُقه ، وسخائه فى جوده ، وعفوه عند مقدرته ، ورحمته ، وغضبه من أجل الحق ، وغير ذلك من الصفات التى أودعها فى قوله :

يا مَن لَهُ الأَخلاقُ ما تَهوى العُلا ∴ مِنها وَما يَتَعَشَّقُ الكُبَراءُ

لَو لَم تُقِم دينًا لَقامَت وَحدَها ∴ دينًا تُضيءُ بِنورِهِ الآناءُ

زانَتكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِلٌ ∴ يُغرى بِهِنَّ وَيولَعُ الكُرَماءُ

أَمّا الجَمالُ فَأَنتَ شَمسُ سَمائِهِ ∴ وَمَلاحَةُ الصِدّيقِ مِنكَ أَياءُ

وفى أثناء حديثه عما كان يتصف به النبى - صلى الله عليه وسلم - من جليل الصفات تحدث عن الاشتراكية الإسلامية ، وقارن بينها وبين الاشتراكية الغربية مفضلاً الاشتراكية الإسلامية بتفوقها على الاشتراكية الغربية فيقول [2] :

---

(١) المرجع السابق ١ / ٣٤ .

(٢) المرجع السابق .

الإشتراكيّونَ أَنتَ إِمامُهُم ∴ لَولا دَعاوى القَومِ وَالغُلَواءُ

داوَيتَ مُتئِداً وَداوَوا طَفرَةً ∴ وَأَخَفُّ مِن بَعضِ الدَواءِ الداءُ

وكذلك من قصائده الإسلامية قصيدته " نهج البردة " التى استهلها بقوله [1] :

رِيمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ ∴ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

وفى ثناياها بين حال الناس قبل بعثته - صلى الله عليه وسلم - وهم عاكفون على عبادة الأصنام ، والأوثان ، تعمهم الفوضى ، ويذوقون ألوانًا من الجور ، والظلم على أيدى الطغاة ، والجبابرة من ملوك الفرس ، والروم ، وغيرهم ممن ملكوا زمام الأمور بقوقم ، وكثرة عددهم حينذاك فقال [2] :

أَتَيتَ وَالناسُ فَوضى لا تَمُرُّ بِهِم ∴ إِلّا عَلى صَنَمٍ قَد هامَ في صَنَمِ

وَالأَرضُ مَملوءَةٌ جَوراً مُسَخَّرَةٌ ∴ لِكُلِّ طاغِيَةٍ في الخَلقِ مُحتَكَمِ

مُستَيطِرُ الفُرسِ يَغشى في رَعِيَّتِهِ ∴ وَقَيصَرُ الروم مِن كِبرٍ أَصَمُّ عَمِ

يُعَذِّبانِ عِبادَ اللَهِ في شُبَهٍ ∴ وَيَذبَحانِ كَما ضَحَّيتَ بِالغَنَمِ

وَالخَلقُ يَفتِكُ أَقوامٌ بِأَضعَفِهِم ∴ كَاللَيثِ بِالبُهمِ أَو كَالحوتِ بِاليَلَمِ

كما هزت البطولة العربية اريحيته فراح يتغنى ببطل من أبطالها الذين أضاءوا التاريخ بأعمالهم المجيدة ، وشخصياتهم الفذة ، كشخصية صقر قريش عبد الرحمن الداخل الذى ضرب المثل الأعلى بجهاده فى سبيل المجد ، فاتخذ الشاعر من جهاده ، وصور بطولاته مثلاً يحتذى فقال [3] :

---

(١) المرجع السابق ١ / ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ١ / ١٩٧ .

(٣) المرجع السابق ٢ / ١٧٢ .

يا شَبابَ الشرق عُـوانَ الشَـباب ∴ ثَمَرات الحَسَب الزاكـي النَـمير [1]

حَسْبُكُم في الكَرَم المَحـض اللُبـاب ∴ سـيرَةٌ تَبقـى بَقـاءَ ابنَـي سَـمير

في كتاب الفَخر " للـداخل " بـاب ∴ لَم يَلجـهُ مـن بَـني المُلـك أمـير

ثم أخذ الشاعر يمتح من معين التاريخ ، ليروى لنا قصة هذا البطل الذى دالت دولته فى الشرق ، فرحل إلى الغرب ؛ ليؤسس دولة جديدة لا تثنيه عن عزيمته المخاطر ، والصعوبات التى ستواجهه أثناء المضى فى تحقيق مآربه ، فاليأس عنده موت ، والرجاء عنده حياة عبر عن هذا بقوله [2] :

أيُها اليـائسُ مُـت قَبـلَ المَمـات ∴ أو إذا شـئتَ حَيـاةً فَالرَجـا

لا يَضـق ذَرعُـكَ عنـدَ الأزَمـات ∴ إن هـيَ اشـتَدَّت وَأمِّـل فَرَجـا

ذَلـكَ الـداخلُ لاقـى مُظلمـات ∴ لَـم يَكُـن يَأمُـلُ منـها مَخرَجـا

قَـد تَـولَّى عـزُّهُ وَانصَـرَما ∴ فَمَضـى مـن غَـده لَـم يَـأس

رامَ بـالمَغرب مُلكـاً فَرَمـى ∴ أبعَـدَ الغَمـرِ وَأقصـى اليَـبَس

كما اتخذ الشاعر من تاريخ مصر موضوعًا لمطولته " كبار الحوادث فى وادى النيل " التى قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر ١٨٩٤ م وكان مندوبًا للحكومة المصرية فيه فشدا بنظمه قائلاً [3] :

هَمَّـت الفُلـكُ وَاحتَواهـا المـاءُ ∴ وَحَـداها بمَـن تُقـلُّ الرَجـاءُ [4]

---

(١) ابنى سمير : الليل والنهار ، الداخل : عبد الرحمن الداخل .

(٢) المرجع السابق ٢ / ١٧٤ .

(٣) المرجع السابق ١ / ١٧ .

(٤) حدا الإبل : ساقها وغنى لها ، العباب : ارتفاع السيل أو الموج ، مرق السهم : نفذ وخرج من الجانب الآخر وهو هنا الطارب ، الدأماء : البحر ، دجى الليل : ظلمته .

ضَرَبَ البَحـرُ ذو العُبـاب حَـوالَي ∴ هـا سَـماءٌ قَـد أكبَرَهـا السَـماءُ

وَرَأى المـارقونَ مـن شَـرَك الأر ∴ ض شِـباكاً تَمُـدُّها الـدَأماءُ

وَجبـالاً مَوائجـاً في جبـال ∴ تَتَـدَجّى كَأنَّهـا الظَلمـاءُ

وَدَويّـاً كَمـا تَأهَّبـت الخَيـ ∴ ـلُ وَهاجَـت حُماتُهـا الهَيجـاءُ

واستمر الشاعر فى إنشاد هذه القصيدة التى بلغت ما يقرب من خمسة وستين ومائتى بيت تحدث فيها عن الحضارة المصرية القديمة التى تستحق الإعجاب والافتخار كما تحدث عن الدول التى تعاقبت على مصر ، كالهكسوس الذين غزوها عان ١٦٧٥ قبل الميلاد ، وغيرها من الغزاة المستعمرين الذين ظلموا أهلها ، وخربوا معابدها ، وهياكلها ، وغير ذلك من الأحداث التاريخية التى تشعر القارئ بعظمة المصريين ، وبحضارتهم تارة ، وبصراعهم المستمر مع أولئك الغزاة ، وغيرهم تارة أخرى .

الشعر التمثيلى (المسرحى) :

لم يعرف هذا اللون من الشعر قبل شوقى إلا على يد الشيخ خليل اليازجى الذى كتب روايته الشعرية " المروءة والوفاء " عام ١٨٧٦م ، وقد أشار إلى هذا صاحب كتاب آداب اللغة العربية فى قوله : " ويمتاز الشيخ خليل اليازجى عن سائر شعراء هذه النهضة بعمل لم يقدم عليه سواه نعنى تأليف رواية المروءة والوفاء ، وهى شعرية تمثيلية مبنية على حكاية " حنظلة والنعمان " وقد مثلت فى بيروت سنة ١٨٧٨ م " [١] .

وإذا كان الشيخ خليل اليازجى خلف للأدب العربى الحديث رواية واحدة ، فإن شاعرنا المجدد خلد لنا " سبع مسرحيات منها ست مآسى ، وواحدة ملهاة ، وكما أن فى شعره الغنائى لاحظ الجمهور فقد لاحظه أيضًا فى مسرحياته إذ نرى ثلاث مآسى من مآسيه يسترضى العاطفة الوطنية فى المصريين ، وهى : مصرع كليوباترا ، وقمبيز ، وعلى بك الكبير ، وثلاث تسترضى العواطف العربية والإسلامية ، وهى : مجنون ليلى ، وعنترة ، وأميرة الأندلس ، أما الملهاة فتقوم على موضوع مصرى شعبى " [٢] .

ولقد قيل : إن شوقى " استمد موضوعات مسرحياته الأولى من التاريخ ، فموضوعات مسرحية " على بك الكبير " مستمد من التاريخ الإسلامى فى عهد المماليك " [٣] . وتدور أحداث هذه المسرحية حول أمير مصر من المماليك اكتسب فرصة انشغال الحكومة العثمانية بحرب روسية ، فحاول إعلان استقلاله ، وكان معتمدًا على صهره فى تحقيق أطماعه ، لكن صهره خانه ، فاستنجد بضاهر العمر والى عكا ؛ فأنجده لكن نجمه كان قد أفل ، فاسر وقتل " [٤] ، وهذا نموذج من المسرحية

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية – جورجى زيدان ٢ / ٥٨٢ .

(٢) شوقى شاعر العصر الحديث – د / شوقى ضيف ص ١٨٨ – دار المعارف بمصر .

(٣) المسرحية فى شعر شوقى – تأليف / محمود حامد شوكت ص ٣٤ – مطبعة المقتطف سنة ١٩٤٧ م .

(٤) عشر قمم أدبية – ممدوح حقى ص ٥٥٨ – دار الكتاب بالدار البيضاء .

الشعرية التى أرانا فيها شوقى البطل جريحًا على سريره ، وقد شعر بدنوّ الأجل وضياع الأمل فراح يقول [١] :

ريحى تفرق عسكرى وخيامى ∴ وطوى الزمان وريه أعلامى

أحتال والأحداث تفسد حيلتى ∴ وأروم والأيام دون مرامى

لما طوت ملك الكنانة راحتى ∴ لم يكفنى فطلبت مُلك الشام

صيرت حرب الترك وجه سياستى ∴ حتى اقتنيت عداوة الأقوام

وكفرت إحسان الذين خدمتهم ∴ حتى تجرأ خادمى وغلامى

.....

أما موضوع مسرحيته " مصرع كليوباترا " فمستمد من تاريخ مصر القديم [٢] الذى حدثنا عن " كليوباترا " ملكة مصر التى دارت المعارك بين قادة روما للاستيلاء على قلبها ، وتدور أحداث هذه المسرحية حول اعتلاء كليوباترا العرش ، ومنازعة أخيها الملك ، فاستنصرت بيوليوس قيصر فنصرها ، وانعقد الحب بين قلبيهما وسافرت معه إلى روما ، ثم عادت بعد موته إلى الإسكندرية ، فتعلق بها أنطونيوس أحد قادة الروم ، وتنكر لقومه من أجلها ، فأرسلت إليه روما القائد أوكتافيوس لتأديبه ، ووقعت بينهما معركة بحرية أمام أسوار الإسكندرية ، وكانت كليوباترا قد ساعدت أنطونيوس بالأسطول المصرى لكنه لم يستطع مقاومة أوكتافيوس ، وفر أسطوله أمامه بسبب خيانة الأسطول المصرى وفراره المصطنع ، وهربت الملكة كليوباترا ، وانتحر أنطونيوس يأسًا وخوفًا من أن يقع أسيرًا بيد خصمه ، وحاولت الملكة مفاوضة أوكتافيوس على شروط تصون كرامة مصر ، فرفض مفاوضتها فشعرت باليأس ،

---

(١) على بك الكبير أو دولة المماليك – أحمد شوقى ص ١٠٠ – مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) المسرحية فى شعر شوقى – محمود حامد ص ٣٤ .

وحملت إلى صدرها أفعى ، وسمحت لها بأن تلدغها لدغة قاتلة ، وماتت منتحرة حرة لم تستسلم للعدو قهرًا .

وفى الرواية يحاول شوقى تبرير هزيمة كليوباترا ، وتلاعبها بأن سياسة وطنها مصر قضت عليها بهذا السلوك ، وهو يصور الوطنية المصرية ، والتضحية ، ويسير الحوادث فى جو مصرى خالص .

وقد علق صاحب عشر قمم فى تاريخ الأدب العربى بقوله : " وهذه المسرحية أقرب روايات شوقى على الفن التمثيلى من سائر رواياته تتساق فيها الحوادث بدقة ، وتظهر المفاجآت مترابطة محكمة لكنه أدخل فيها بعض الحوادث الطفيلية ، فأفسدها كخير حابى وهيلانه ، وعشق الشيخ زنيون للملكة ، غير أن ذلك لم يهدر جمالها الفنى على أى حال [1] .

فى هذه المسرحية الشعرية نرى أنطونيو على فراش الموت يودع كليوباترا فيقول [2] :

كليوبـــاترا زوديـــنى قبلـــة ∴ مـــن ثنايـــاك العـــذاب الشـــمات

وأضـــيئى بســـناها مقلـــة ∴ يُســـدل المـــوت عليهـــا الظلمـــات

ســـيقول النـــاس عـــنى فى غـــد ∴ مـــن ألى الرحمـــة أو أهـــل الشـــمات

بطـــل لم تظفـــر الحـــرب بـــه ∴ فى الهوى تحت لـــواء الحـــب مـــات

وتندبه كليوباترا فتقول :

قـــد تـــداعى محـــور الأرض ∴ وميـــزان الشـــعوب

مـــال كالشـــمس جمـــالاً ∴ وجـــلالاً فى الغـــروب

---

(١) عشر قمم أدبية - ممدوح حقى ص ٥٥٥ .

(٢) مصرع كليوباترا - أحمد شوقى ص ٤٨ - مطبعة دار الكتب المصرية .

أيهـــا المجـــروح لـــو تـــد ∴ رى جروحـــى وتـــدوبى

أيهـــا الخـــالص ودا ∴ لـــيس ودى بالمشـــوب

أيهـــا الصـــادق وعـــدًا ∴ لـــيس وعـــدى بالكـــذوب

عـــن قريـــب ينطـــوى القـــ ∴ ـــبر علينـــا عـــن قريـــب

أما موضوع روايته " مجنون ليلى " فقد استمده من التاريخ الإسلامى فى عهد بنى أمية [1] وفى هذه الرواية " أحب قيس ليلى ، واشتهر بذلك ، وخطبها من أبيها ، فأبى أن يزوجه بها تبعًا للتقاليد البدوية ، ولعادات الصحراء أنهم لا يزوجون المرأة للرجل إذا اشتهر بحبه لها ، ثم منعه من زيارتها ، فلم يمتنع فاستعدى عليه السلطان ، فأهدر دمه إن لم يرتدع ، ثم زوج الأب ليلى لرجل من ثقيف ، فهام قيس فى البرارى ، وجن جنونه ، وفقد عقله لشدة توله بليلى ، وأخذ يعاشر الوحوش ، وينشد الشعر للهواء ، والشمس ، ويحدث الغزلان .... حتى مات .

وفى هذه الرواية يصور شوقى الصحراء ، وسكانها أجمل تصوير ، ويبرز أخلاق البادية واضحة ، ويرفعهم إلى درجة البطولة ، فليلى يأكل كبدها حب قيس لكنها لا تخون زوجها حين يزورها ، بل كانا يختليان على طهارة ، وزوجها يقدر حبها ، و يحترم عاطفتها ، فيعاشرها معاشرة الأخت المحرمة لا معاشرة الزوجة تكريمًا لها ، ويدرك رفعة أخلاق قيس ، فيتركه مع ليلى ، ويخلى لهما الجو يتشاكيان لواعج الحب والهوى .

وقد علق صاحب عشر قمم فى تاريخ الأدب العربى بقوله : " وقد وفق شوقى فى هذه الرواية توفيقًا حسنًا ، وإن أدخل فيها بعض الحوادث الطفيلية كقصة الجن ،

---

(١) المسرحية فى شعر شوقى - محمود حامد ص ٣٤ .

وذى الغريض ، وضعفت العقدة الفنية ، والمفاجآت إلى حد البرود أحيانًا ، وفيها بعض القطع الممتازة من الشعر العاطفى تكاد تغنى من نفسها وترقص " [1] .

فمن النماذج الواردة بهذه المسرحية قول ابن ذريح [2] :

مـــا الـــذى أضـــحك منـــ ∴ ـــى الظبيـــات العامريـــة
ألأنى أنـــا شـــيعى ∴ وليلـــى أمويـــة
اخـــتلاف الـــرأى لا يفـــ ∴ ـــسد للـــود قضـــية

وكقول ليلى :

أعـــرنى سماعـــك يـــا ابـــن ذريـــح ∴ ولا تســـمع الطفلـــة الهاذيـــة
أتيـــت لنـــا اليـــوم مـــن يثـــرب ∴ فكيـــف تـــرى عـــالم البادية
أكنت مـــن الـــدور أو فى القصـــور ∴ يـــرى هـــذه القبـــة الصـــافية
كـــأن النجـــوم علـــى صـــدرها ∴ قلائـــد مـــاس علـــى غانيـــة

وأكتفى بهذه النماذج التى أتيت بها على سبيل الاستدلال على مظاهر تطوره ، وتجديده فى شعره الذى احتوى على هذا اللون التمثيلى الذى لهجت به الأقلام ، والألسن ومثل مرارًا ، وتكرارًا ، وتغنى ببعضه أهل الغناء والطرب .

وعلى الرغم مما لاقاه أمير الشعراء من نقد لاذع تجاه شعره المسرحى ، إلا أنه حظى بتقريظ بعض النقاد ، والأدباء الذين أشادوا ببراعته ، وقدرته على تخير الألفاظ ، والصور الاجتماعية الملائمة لموضوع مسرحيته ، فها هو ذا صاحب كتاب أمير الشعراء يشهد له بتجديده فيقول : " والواقع أننا لو حاولنا أن نحصر تجديد

---

(١) عشر قمم أدبية - ممدوح حقى ص ٥٦٠ .

(٢) مجنون ليلى - أحمد شوقى ص ٩ - مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

شوقى فى موضوع معين لاستطعنا أن نقول : إن محاولات أمير الشعراء المسرحية ، فضلاً عن محاولاته فى حكاياته الموضوعة على ألسنة البهائم . والطيور هى أهم ما قام به شوقى من تجديد فى موضوعات الشعر العربى المعاصر " [1] .

كذلك الدكتور على شلق حيث يقول : " الشعر المسرحى جديدٌ مفترعًا مزهوًا بأوليته وسبقه ... يبقى شوقى وحده مؤلف المسرحية الشعرية فى الأدب العربى حتى يومنا هذا " [2] .

أما صاحب كتاب الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر فقد قال : " وشعر شوقى فى مسرحياته من طراز فريد فى الشعر العربى كله لا ترقى إليه قصائده فى الشوقيات ، وقد تجلت عبقرية الشاعر على حقيقتها ، وفى أبدع صورها فى تلك القصائد التى عبر بها عن عواطف شخصياته المسرحية وفواجعها " [3] .

القصة على لسان الحيوان :

فى أثناء سفر أمير الشعراء إلى فرنسا لطلب العلم وجد الشعر فى فرنسا لا يقتصر على الفن الغنائى فحسب ، وإنما اشتمل على الفن القصصى ، والفن الدرامى ، وفى أثناء مطالعته لأدب بعض أدبائها ترجم لـ " لامرتين " قصته المسماه " البحيرة " ، كما تأثر أيضًا بلافونتين الذى بلغ درجة عظيمة فى نظم الحكايات ، وكان سببًا فى وجود هذا الجنس الأدبى الجديد فى شعر شوقى .

ولذا نجده يقول : " وجربت خاطرى فى نظم الحكايات على أسلوب " لافونتين " الشهير ، وفى هذه المجموعة شىء من ذلك فكنت إذا فرغت من وضع

---

(١) أحمد شوقى أمير الشعراء - فوزى عطوى ص ١١٧ .

(٢) نقاط التطور فى الأدب العربى - د / على شلق ص ١٩٦ - دار القلم ببيروت .

(٣) الاتجاه الوجدانى - د / عبد القادر القط ص ٨٥ .

أسطورتين ، أو ثلاث اجتمع بأحداث المصريين ، وأقرأ عليهم شيئًا منها ، فيفهمونه لأول وهلة ، ويأنسون إليه ، ويضحكون من أكثره ، وأنا أستبشر بذلك ، وأتمنى لو وفقنى الله لأجعل لأطفال المصريين مثلما جعل للأطفال فى البلاد المتمدنة منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة ، والأدب من خلالها على قدر عقولهم " [1] .

ولقد ذكر أحد الأدباء المحدثين أنه : " فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٩٢ م نشرت الأهرام حكاية شعرية تحت عنوان " الهدهد والدجاج البلدى " بإمضاء (نجى الخرس) ، ولم تكن هناك أقل إشارة إلى مصدر الشعر أو قائله :

بَينا ضَعافٌ من دَجاج الريف ∴ يَخطرُ في بَيت لَها طَريف

إذا جاءَها هندي كَبيرُ العُرف ∴ فَقامَ في الباب قيامَ الضَيف

يَقولُ : حَيا اللَهُ ذي الوُجوها ∴ وَلا أراها أَبَداً مَكروها

فَعاوَدَ الدَجاجَ داءُ الطَيش ∴ وَفَتَحَت للعلج بابَ العُشّ

إلى آخره ، وقد ظننا بادئ ذى بدء أنه لمطران ، وما كان يدور بخلدنا أنه لشوقى ، وأن شوقى يوقع بإمضاء مستعار ، وهذه لاشك أول مرة هذه القصة ، أو الخرافة التى يقلد بها (لافونتين) " [2] .

ولقد قصد شوقى بحكايته هذه إلى " تنبيه الوعى القومى لدى المواطنين إلى خطر الغفلة ، والغرة بعلاقتهم بالأجنبى الدخيل ، فشوقى فى حكايته هذه يصف المجال ، ويهيئ فى وصفه لمجرى الحدث بين المخلوقات الضعيفة المغترة ، وهذا الدخيل القوى المختال ، وكل كلمة من الكلمات ، وكل جملة من الجمل يختارها شوقى فى

---

(١) الشوقيات المجهولة - د / محمد صبرى ص ١٣ - مطبعة دار الكتب ١٩٦١ م .

(٢) المرجع السابق .

عناية لتصف الحالة النفسية لكل من الفريقين ، وعلى الرغم من أن هذه الصفات مميزة لأصحابها ، ومصورة للدجاج بوصفها رمزًا ، فإنها تتراسل مع صفات المواطنين المقصودين فى موقفهم من الأجنبى الدخيل ، ولهجة الديك فى تظاهره بالضعف ، وزعمه الرغبة فى الخير ، وتوكيده أن إقامته موقوتة تتفق تمامًا مع وعود الإنجليز لذلك العهد ولهجتهم مع المصريين " [1] .

وفى نوفمبر سنة ١٨٩٢ م نشرت الأهرام حكاية " الثعلب والديك " والإمضاء (نجى الخرس) وأغلب الظن نظم بقية الحكايات فى سنة ١٨٩٣ م ، ولكنه لم ينشر منها شيئًا فى الصحف فى صورة من الصور سوى ما ذكرنا [2] ، ومن ثم فقد حقق الشاعر رغبته ، وأوجد هذا الجنس الأدبى الجديد فى شعره حتى بلغت حكاياته ما يقرب من خمس وخمسين حكاية جاءت كلها على ألسنة الحيوانات ، فمن هذه الحكايات حكاية " الأسد ووزيره الحمار " التى استهلها بقوله [3] :

اللَيثُ مَلكُ القفار ∴ وَما تَضُمُّ الصَحاري

سَعَت إلَيه الرَعايا ∴ يَوماً بكُلِّ انكسار

قالَت تَعيشُ وَتَبقى ∴ يا داعيَ الأَطفار

ماتَ الوَزيرُ فَمَن ذا ∴ يَسوسُ أَمرَ الضَواري

قالَ الحمارُ وَزيري ∴ قَضى بهَذا اختياري

---

(١) الأدب المقارن - د / محمد غنيمى هلال ص ١٩٣ - مطبعة دار العودة بيروت .

(٢) الشوقيات المجهولة - د / محمد صبرى ص ١٣ .

(٣) ديوانه ٤ / ١٤٧ .

وفى هذه الحكاية إشارة واضحة لما كان كائنًا فى مجتمع الحكام ، فالوزير لم يصل إلى منصبه بعلمه ، ولا بقدرته ، ولا بذكائه ، وإنما وصل إلى وزارته بجاهه وسلطانه فصار مثله كمثل الحمار فى جهله ، وعدم درايته بمهام منصبه .

أما حكايته " الثعلب والديك " فقد استهلها بقوله [1] :

بَـــرَزَ الثَعلَـــبُ يَومـــاً ∴ فِي شَـــعار الواعظينـــا
فَمَشَـــى فِي الأَرض يَهـــذي ∴ وَيَسُـــبُّ الماكرينـــا
وَيَقـــولُ الحَمـــدُ للـــ ∴ ـــه إِلَـــه العالَمينـــا
يـــا عِبـــادَ اللَـــه توبـــوا ∴ فَهـــوَ كَهـــفُ التائبينـــا
وَازهَـــدوا فِي الطَـــيرِ إِنَّ الـــ ∴ ـــعَيشَ عَـــيشُ الزاهـــدينا
وَاطلُبـــوا الـــديكَ يُـــؤَذِّن ∴ لِصَـــلاةِ الصُـــبحِ فينـــا
فَـــأَتى الـــديكَ رَســـولٌ ∴ مِـــن إِمـــامِ الناســـكينا
عَـــرَضَ الأَمـــرَ عَلَيـــه ∴ وَهـــوَ يَرجـــو أَن يَلينـــا
فَأَجـــابَ الـــديكُ عُـــذراً ∴ يـــا أَضَـــلَّ المُهتَـــدينا
بَلِّـــغِ الثَعلَـــبَ عَنّـــي ∴ عَـــن جُـــدودي الصـــالحينا
عَـــن ذَوي التيجـــانِ مِمَّـــن ∴ دَخَـــلَ الـــبَطنَ اللَعينـــا
أَنَّهُـــم قـــالوا وَخَيـــرُ الـــ ∴ ـــقَولِ قَـــولُ العارفينـــا
مُخطِـــئٌ مَـــن ظَـــنَّ يَومـــاً ∴ أَنَّ لِلثَعلَـــبِ دينـــا

(١) المرجع السابق ص ١٥٠ .

وفى هذه الحكاية إيحاء رمزى بما كان يستخدمه الاستعمار من خدع ، كظهوره بمظهر المصلح ، والمنقذ ، والعادل ، ولكن سرعان ما تتكشف نواياه ، وتظهر خدعه لمن اكتوى بظلمه ونار حيله ، ولذا نجد الشاعر يحسن توظيف الحوار توظيفًا ملائمًا لكل حكاية من حكاياته ، كما أنه يحسن عنصر الانتهاء ، فيختمها بالحكمة الصائبة ، كقوله فى نهاية حكايته " الثعلب والديك " :

مُخطِـــئٌ مَـــن ظَـــنَّ يَومـــاً ∴ أَنَّ لِلثَعلَـــبِ دينـــا

وكذلك حكاته " الأسد ووزيره الحمار " ختمها بقوله :

إِنَّ لِلظـــالِمِ صَـــدراً ∴ يَشـــتَكي مِـــن غَـــيرِ عِلَّـــه

وهكذا نجد الشاعر يتخذ من هذه الحكايات وسيلة نقد وتوجيه ، وإصلاح لما كان يعايشه فى مجتمعه عن كثب من ظلم وطغيان ، ومساوئ اجتماعية دفعته إلى التنديد بمواطن الظلم البشرى الذى لمسه فى بعض الزعماء ، والقادة والحكام دون أن يقع تحت طائلة سلطتهم الجائرة ومن ثم ، فقد عدّت حكايات أمير الشعراء فنًا من الفنون الشعرية الرفيعة " لا من حيث أنها حكايات شعرية ، ولطائف تهذيب الخلق ، وتحبب على النفس البشرية دراسة الأدب ، ولا من حيث أنها شائعة على ألسنة الحيوانات ، وأشباهها ، أو أنها سهلة المأخذ جيدة العبارة ، فقد سبقه إلى شىء من هذا بعض الأدباء قديمًا ، وحديثًا ، ولكن من حيث أنها جمعت تلك المحاسن كلها ، وزادت عليها أنها ضربت فى موضوعات شتى تتصل بالحياة العصرية القائمة من غير أن تغفل الإشارة إلى الحوادث القديمة ، والتاريخ الماضى للانتفاع بعبره ، ومواعظه ، كحكاية حمامتان فى الحجاز " يرمى بهما إلى حب الوطن " وحكاية (الديك الهندى والبلدى) ، يشير بهما إلى الاستعمار الأجنبى ووسائله ، وحكاية (ندور الخادم) يرمى بها إلى غطرسة الملوك واستهانتهم وإنها تنتهى بهم على الدمار ، والهلاك ، وحكاية الفيل ،

وأمة الأرانب يوحى بها إلى اتحاد الضعفاء واتباعهم رأى عقلائهم ، وبعدهم عن الهوى يقويهم ، ويدفع عنهم شرور الأعداء والأقوياء .

كما أنها حكايات وضعت - فى أغلب الظن - للأطفال لكى يجدوا فيها مسلاهم ، وما يلائم مواهبهم ، بالإضافة إلى هذا ، فقد أحكمت لغتها على سهولتها ، وتضمنت معانيها الواضحة اليسيرة معانى أخرى عميقة ، فجاءت لغتها محببة للناشئ الذى لا يطلب أكثر من الخفة ، والسهولة ، وللأديب المكتمل الذى يرى من إحكامها ، ودقائق تراكيبها ، وبارع اختيار ألفاظها ما لا يراه ذلك الناس " [1] .

(١) الشعر والشوقى وإمارة الشعر - للأستاذ / عباس حسن ص ٣٤٥ - مطبعة دار المعارف بمصر " بتصرف " .

التجديد فى القوافى والأوزان :

عرفنا فيما سبق أن للبارودى قطعة واحدة من وزن مخترع لا عهد للعروضيين به ، وذلك من خلال قوله [1] :

امْـــلأ الْقَـــدَحْ ∴ واغْـــصَ مَـــنْ نَصَـــحْ
وَارْوِ غُلَّـــتِـــي ∴ بابْنَـــةِ الْفَـــرَحْ
فَـــالْفَتَى مَتَـــى ∴ ذاقَهـــا انْشَـــرَحْ

ويستهوى أمير الشعراء هذا الوزن فينظم عليه مقطوعته التى تكونت من سبعين بيتًا أثناء وصفه مرقص أقيم بسراى عابدين فاستهلها بقوله [2] :

مـــالَ وَاحْتَجَـــبْ ∴ وَادَّعَـــى الغَضَـــبْ
لَيْـــتَ هَـــاجري ∴ يَشْـــرَحُ السَّـــبَبْ
عَتْبُـــهُ رِضَـــىً ∴ لَيْتَـــهُ عَتَـــبْ

كما نظم أيضًا على بحر المقتضب وهو أحد البحرين اللذين أنكرهما الأخفش وأكد عدم ورودهما عن العرب وهما بحر المضارع والمقتضب [3] ، فقال فى وصف حفلة رقص أقيمت بقصر عابدين هذه القصيدة التى استهلها بقوله :

حَـــفٌّ كَأَنَّـــها الحَبَـــبُ ∴ فَهِـــيَ فِضَّـــةٌ ذَهَـــبُ

وقد نهج فيها شوقى نهج أبى نواس فى نظمه خمسة أبيات من هذا الوزن ، وقد جعل أبو نواس مطلع أبياته :

(١) ديوان البارودى ١ / ١٢١ .
(٢) ديوان شوقى ٢ / ١٤ .
(٣) موسيقى الشعر - د / إبراهيم أنيس ص ٦٣ .

حامـــلُ الهَـــوى تعـــبُ ∴ يَســـتخفُّهُ الطَـــرَبُ

كما احتوت الشوقيات على بعض المقطوعات الشعرية التى جاءت على أوزان لا عهد للعروضيين بها وذلك كمقطوعته الواردة بمسرحيته " مجنون ليلى " كقوله على لسان بلهاء ، وزياد [1] :

زيـــاد مـــا ذاق ∴ قـــيس ولا هـــما

طـــبخ يـــد الأم ∴ يـــا قـــيس ذق ممـــا

الأم يـــا قـــيس ∴ لا تطـــبخ الســـما

وكذلك أنشودته على لسان الحاوى حيث يقول [2] :

يـــا نجـــد خـــذ بالزمـــام ∴ ورحّـــب

ســـر فى ركـــاب الغمـــائم ∴ ليثـــرب

هـــذا الحســـين الإمـــام ∴ ابـــن الـــنبى

النـــور فى البيـــد زادُ ∴ حـــتى عمـــر

أجـــد الحيـــا فى الوهـــاد ∴ أحـــمد القمـــر

أجـــد جمـــال البـــوادْ ∴ زيـــنَ الحضـــرْ

فالمتأمل فى هذه الأنشودة يجد شطرها الأول من بحر المجتث ، والشطر الثانى عبارة عن تفعيلة واحدة من تفاعيل الضرب " متفعلن " وقـد صـارت " فـاعلاتن " تفعيلة المجتث " فاعلات " وهو لم يقل به أهل العروض [3] .

---

(١) مجنون ليلى – أحمد شوقى ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧ .

(٣) موسيقى الشعر – د / إبراهيم أنيس ص ٢٢٣ .

أما مسرحيته " كليوباترا " فقد تضمنت وزنًا غريبًا لا عهد لأهل العروض به وذلك كقوله على لسان كليوباترا [1] :

بـــل حـــارس جـــاف ∴ مـــن حـــرس القصـــر

مُعربـــدُ الخطـــو ∴ مـــن نشـــوة النصـــر

لا تســـمع الأرض ∴ رجليـــه مـــن كـــبر

وكذلك قوله على لسان شرميون [2] :

ملكـــتى دعـــى ∴ هـــذه الفكـــر

جنـــد رومـــه ∴ تعبـــد البـــدر

فى ســـبيلها ∴ يركـــب الغـــرَرْ

وهكذا نجد " فى مسرحيات شوقى أوزانًا لم يكن يطرقها الشعراء إلا نادرًا قد بدأت تظهر وتأخذ مكانها بين الأوزان كما بدأت الآذان تألفها ولم تكن تستسيغها من قبل كالهزج والمجتث ، فقد زادت نسبتها وستظل تزيد مع مستقبل الشعر ، كما نرى الميل إلى المجزوءات بصورة واضحة لم نعهدها من قبل " [3] .

---

(١) مصرع كليوباترا – أحمد شوقى ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٣) موسيقى الشعر – د / إبراهيم أنيس ص ٢٢٤ .

المبحث الرابع

جماعة الديوان

سميت هذه الجماعة بجماعة الديوان نسبة إلى الكتاب النقدى المشهور " الديوان " الذى ألفه كل من المازنى ، والعقاد ، وأوضحا فيه اتجاههما الجديد ، كما نقدا فيه كلا من شوقى ، وحافظ ، والمنفلوطى ولم يسلم من هذا النقد رائد الحركة والداعى إليها عبد الرحمن شكرى [1] .

ولم تكن الحياة وقت ظهور هؤلاء الشبان الثلاثة تنعم بالهدوء ، والاستقرار ، بل كان المجتمع المصرى آنذاك يئن من ضغط الاحتلال ، والقصر من ناحية ، والصراع بين القديم ، والجديد من ناحية أخرى ، ولقد أفصح عن هذا صاحب دراسات فى الشعر العربى المعاصر فى قوله : " لقد كانت مصر تجتاز دورة قاتمة فى حياتها بل لعلها أكثر دورات حياتها بأسًا وبؤسًا ، وكان الشباب الطامح من أمثال شكرى يشعر شعورًا عميقًا بآلام الحياة التى يحياها وطنه ، وأثقالها ، ويرى إلى أى حد قد فسدت الحياة فيه فسادًا لا يدع أملاً فى أن يحقق الشباب آمالهم لما يقيدهم به المستعمر ، وأعوانه من قيود وأغلال " [2] .

كما وجدت الدكتور محمد مندور يعبر عن حالة الشباب المصرى فى تلك الفترة بقوله : " فالشباب المصرى فى حالة أمتنا الاجتماعية الحاضرة عظيم الأمل ، ولكنه عظيم اليأس ، والسبب فى ذلك أن حالتنا الاجتماعية تستدعى شدة اليأس ، وما زلت أجد بين حالة الأمة الاجتماعية ، وبين نفوس أفرادها رابطة متينة ، والشباب

(١) مدارس الشعر فى العصر الحديث – د / صلاح الدين عبد التواب ص ١٤٧ .

(٢) دراسات فى الشعر العربى المعاصر – د / شوقى ضيف ص ١١١ – مطبعة دار المعارف .

المصرى فى حيرة بين القديم ، أو بين ماضيه وحاضره ، ومن أجل ذلك يضره الجديد ، فهو من قديمه وجديده غريق بين لجتين ، أو مثل كرة فى أرجل المقادير " [1] .

وفيما يغلب على ظنى أن هذه الحياة القاسية ، ومعايشتهم لآلامها ، ومتاعبها كانت سببًا من الأسباب التى عمقت ظاهرة التشاؤم فى نفوسهم " وكان شكرى ذروة هذا التشاؤم فى حزنه العميق ، ومصدر هذا أنهم أصيبوا بمرض العصر ، وهو الصراع بين طموح الشباب ، وظروف المجتمع ، فحملوا المعاول لهدم القديم ، وقد استطاع العقاد ، والمازنى أن يحولا طاقتهما إلى الصحافة أما شكرى فلم يستطع " [2] .

وعلى الرغم من كل هذا ، وذاك ، فإن جماعة هؤلاء الثلاثة تعد طليعة جيل جديد جاء بعد شوقى ، وحافظ ، وذلك لتسلحهم بالثقافة الغربية تسلحًا واسع الأفق ، ومتفتحًا للتطور والتجديد ، ولقد أشار العقاد إلى الينابيع التى استمد منها هؤلاء الثلاثة أفكارهم فقال : " الجيل الناشئ بعد شوقى كان وليد مدرسة لا شبه بينها ، وبين ما سبقها فى تاريخ الأدب العربى الحديث فهى مدرسة أوغلت فى القراءة الإنجليزية ، ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسى ، كما كانت تغلب على أدباء الشرق الناشئين فى أواخر القرن الغابر ، وهى على إيغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان ، والطليان ، والروس ، والأسبان ، واليونان ، واللاتين الأقدمين لعلها استفادت من النقد الإنجليزى فوق فائدتها من الشعر ، وفنون الكتابة الأخرى ، ولا أخطئ إذا قلت أن " هازلت " هو إمام هذه المدرسة كلها فى النقد " [3] .

(١) الشعر المصرى بعد شوقى – د / محمد مندور – الحلقة الأولى ص ٩٤ – مطبعة دار نهضة مصر .

(٢) أضواء على الأدب العربى المعاصر – د / أنور الجندى ص ١٥٣ – مطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة .

(٣) شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد ص ١٩٢ .

ومن القول السابق يتضح لنا الفرق بين جيل هذه المدرسة ، والجيل السابق لها هو اكسابهم العديد من اللغات بصفة عامة ، واللغة الإنجليزية بصفة خاصة ، وإن كانت هذه اللغة أعانتهم على سبر أغوار الأدب العربي ، والوقوف على أسراره ، إلا أنها جعلتهم أكثر الأدباء تأثرًا بالنزعة الوجدانية المتشائمة ، وذلك ؛ لأن المدرسة الإنجليزية التي أتت بعد زعماء المدرسة الرومانسية الأوائل جنحت إلى الواقعية ، وتكشفت لها الطبيعة البشرية في أبشع صورها ، وتمثل لها ذلك الصراع الدامي في المجتمع الغربي بين النزعات ، والرغبات المتباينة ، وعبرت عنها تعبيرًا مباشرًا فجاء أدبها حزينًا كئيبًا متشائمًا "[1] .

وكما اصطبغت أشعارهم بصبغة التشاؤم من الحياة ، والأحياء اصطبغت أيضًا بصبغة التخلص ، والانقياد للحياة العربية القديمة ، وكذلك بعدم الدعاية لبعض المشروعات الاجتماعية التي تغنى بها بعض الشعراء السابقين لهم كما أنهم " لم يحفلوا بالملوك ، والأمراء ، ورجال الحاشية ، والأبطال كما كانت تحتفي المدرسة الاتباعية (الكلاسيكية) ، وإنما فتشوا عن النفس الساذجة البسيطة التي لم يلوثها النفاق الاجتماعي ، والرياء ، والزيف ، وراحوا يسبرون أغوار نفوسهم ، ونفوس العامة من الشعب ، ويفصحون عما تكنه هذه النفوس في دقة ووضوح "[2] .

كما أن المتأمل في تسمياتهم لدواوينهم الشعرية يجد أن هناك علاقة وطيدة بين هذه المسميات ، ومراحل حياتهم ، فالعقاد سمى الأجزاء الأربعة من ديوانه بهذه الأسماء (يقظة الصباح - وهج الظهيرة - أشباح الأصيل - أشجان الليل) ، وكذلك شكري سمى ديوانه الأول (ضوء الفجر) ، وديوانه الأخير (أزهار الخريف)

---

(١) في الأدب العربي الحديث - د / عمر الدسوقي ١ / ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق .

وكذلك المازني الذي أطلق على بعض فصول ديوانه الأول هذه الأسماء (خواطر الوحدة - أحلام اليقظة) وغير ذلك من المسميات التي تدل دلالة واضحة على مدى حرص هؤلاء الشعراء على اتخاذ شعرهم وسيلة للتعبير عن أنفسهم ومشاعرهم ، وأحداث حياتهم بصدق وواقعية حتى أطلق الثلاثة على شعرهم (شعر الوجدان) ولذا نجد الدكتور محمد مندور يقول : " ولو رجعنا إلى (ضوء الفجر) ، وهو الجزء الأول من ديوان عبد الرحمن شكري في طبعته الثانية لوجدناه يحمل على غلافه شعار هذه المدرسة وهو قول شكري :

ألا يا طائر الفردو .:. س إن الشعر وجدان

وإن يكن من الحق أن شعراء هذه المدرسة قد اختلفوا في معنى الوجدان ومضمونه ؛ وذلك لأنه إذا كان الوجدان هو كل ما يجده الشاعر في نفسه ، فمن البين أنه قد يجد فكرًا ، وقد يجد عاطفة ، وقد يجد خيالاً ، وكل وجدان تقبله هذه المدرسة ، ولكن مضمونه يتفاوت بتفاوت الأشخاص "[1] .

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة " انبثقت الدعوى إلى أن يكون الشعر تعبيرًا عن ذات الشاعر ، وشخصيته ، وأن يبعد عن المناسبات ، وأن يغلب عليه طابع الألم ، والأنين ، وحب الطبيعة ، وتصويرها ، وأن تسوده وحدة عضوية كاملة ، ويعبر عن تجربة شعرية عميقة "[2] .

وهكذا اندفع هؤلاء الشعراء الثلاثة يرسلون نظراتهم الأدبية والنقدية ، وينشرون إبداعاتهم الفنية ، ويكتبون العديد من المقالات في مختلف الصحف ، والمجلات المصرية بجانب روائعهم الشعرية التي أبرزت خواطرهم ، وتأملاتهم في

---

(١) الشعر المصري بعد شوقي - د / محمد مندور - الحلقة الأولى ص ٥٥ .

(٢) الأدب الحديث - د / محمد عبد المنعم خفاجي ١ / ١٤٥ .

الطبيعة ، والحياة الإنسانية ، وغير ذلك من مظاهر التطور ، والتجديد التى مستقى عليها أثناء حديثنا عن رائدهم الأول الأديب العملاق عباس محمود العقاد وذلك لأنه ، كان أقوى هؤلاء الثلاثة حجة ، وأشدهم إصرارًا على توطيد أركان الدعوى التى أعلنها هؤلاء الثلاثة ، فقد شارك المازنى فى كتاب الديوان الذى اصدره عام ١٩٢١ م هو والعقاد ، ووقف عند هذا الحد فى محاربة القديم ، والدعوة على الجديد ، والتجديد ، وكتب شكرى بضع مقالات ، ولكن العقاد حمل الراية ، وتزعم هذه الحركة وحده ، وسار بها شوطًا بعد شوط ينافح ، ويناضل ، ويضع اللبنة فوق اللبنة إلى آخر أيام حياته ، وكان بما يخطه قلمه من قواعد الفن ، وأصوله خير داع لهذا المذهب ، وكان بما يقدمه من شعره خير نموذج لهذه الحركة التجديدية المباركة "[1] .

(١) من ذكرياتى فى صحبة العقاد - محمد طاهر ص ٣٩ .

العقاد ومظاهر التجديد فى شعره :

والمتأمل فى حياة الأديب عباس محمود العقاد يجد أن بوادر موهبته الأدبية قد باكرته منذ أن كان فى المراحل الأخيرة من دراسته الابتدائية ، فلقد كان " فى الثانية عشرة من عمره يعارض مجلة الأستاذ التى كان يصدرها الندم ، فإذا كتب الندم مقالاً بعنوان " لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا " كتب العقاد " لو كنا مثلكم ما فعلنا فعلكم "[1] .

فمن هذه المعارضة يبدو لنا استقلاله الفكرى ، وعدم ميله إلى الاتباع ، والتقليد ، فهو لا يكرر ما تضمنه المقال من معان ، وأفكار ، وإنما يأتى بمعان ، وأفكار جديدة يبرز من خلالها حرية فكره ، وقدرته على التعبير عما يجيش فى صدره ، فهو يرى أنه " ليس أصلح للعقل المصرى فى هذه اليقظة التى يتيقظها الآن من الجرأة على التفكير الحر ، والقدرة على انتزاع المنازع المستقلة فى الرأى والإحساس "[2] .

كما كان للعقاد رأى أيضًا فى التجديد عبر عنه بقوله : " قلنا أن التجديد هو اجتناب التقليد ، فكل شاعر يعبر عن شعوره ، ويصدق فى تعبيره ، فهو مجدد ، وإن تناول أقدم الأشياء . هل شىء فى هذا العالم الأرضى أقدم من الشمس ؟ إن الذى يصفها اليوم صادقًا فى وصفه غير مقلد فى تصويره مجدد تمام التجديد ، وإن لم يأت بكلام جديد "[3] .

وفى موضع آخر نجده يقول :" فالشاعر الذى ينظم فى الوصف ، أو فى الغزل ويعبر عن شعوره الصحيح هو شاعر مجدد ، وإن كان الوصف ، والغزل من أقدم الموضوعات "[4] .

(١) المجموعة الكاملة للعقاد ٢٢ / ٣٥٠ .
(٢) ساعات بين الكتب - ضمن المجموعة الكاملة للعقاد ٢٦ / ١٥٢ .
(٣) حياة قلم للعقاد ص ٣٢٧ .
(٤) دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية - جمع / عامر العقاد ص ٣٧ - مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة .

فمما سبق يتضح لنا أن الشاعر المجدد - فى رأى العقاد - هو الشاعر الذى يصدق أثناء تعبيره عن مشاعره ، وأحاسيسه ، ولو تناول أقدم الموضوعات فى الكون ، أو تحدث عن الوصف ، أو الغزل ، أو المدح أو غير ذلك من الموضوعات القديمة التى اتخذها وسيلة للتعبير عن شعوره لأنه يعتقد " أنه لا الرياض وحدها ، ولا البحار ، ولا الكواكب هى موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة ، واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التى لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذى لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخمر المستحضر ، أو كالمعدم الذى يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل ، والباقلاء ، إنما كل ما نخلع عليه من إحساسنا ، ونفيض عليه من خيالنا ، ونتخيله بوعينا ، ونبث فيه من هواجسنا ، وأحلامنا ، ومخاوفنا شعر ، وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة " [1] .

وبهذه الآراء ، وغيرها أصبح العقاد مجددًا فى دعوته التى وجدت آذانًا صاغية لدى كثير من أدباء عصره ، وشعرائه ، مجددًا بمقالاته الأدبية ، والنقدية التى تضمنت العديد من نظراته النقدية الصائبة ، مجددًا بنماذجه الشعرية التى جاءت معبرة عن مشاعره وأحاسيسه تجاه الحياة ، وما فيها من آلام وآمال ، وبخاصة فى تلك الفترة القلقة من حياة مصر التى اختلطت فيها الآراء بالمذاهب السياسية ، وسادتها روح التمزق الاجتماعى بسبب الاستعمار ، وأعوانه ، ولقد عبر العقاد عن ذلك فى قوله : " كان عصرنا برج بابل يبنى، ويعاد بناؤه بين عام ، وعام ، وكنا نعيش فى عصر الجامعة الإسلامية على مذاهب ، ونعيش فى عصر الجهاد الوطنى ، ونعيش فى عصر التجديد الفكرى على مذاهب ، ولا نرى أمامنا مذهبًا واحدًا فى قضية من قضايانا الكبر " [2] .

---

(١) أعلام الأدب المعاصر - د / جمال الرمادى ص ٣٤ .

(٢) حياة قلم للعقاد ص ٣٥٧ .

وإذا كان العقاد يرى أن الشاعر الذى يتسم بالصدق أثناء تعبيره عن مشاعره وأحاسيسه ، ولو تناول أقدم الموضوعات الشعرية يعدّ شاعرًا مجددًا فى رأيه ، فسوف نقف من خلال شعره على بعض الموضوعات الشعرية الواردة بديوانه لنبرز من خلالها ما اتسم به شعر العقاد من تطور ، وتجديد فى الموضوعات تارة ، وفى الوزن والقافية تارة أخرى .

الموضوعات الجديدة فى شعره :

التأمل الذاتى :

جاء التأمل الذاتى فى شعر العقاد نتيجة لتجاربه الذاتية التى استمد معظم مؤثراتها ، وانفعالاتها من واقع ما هو كامن فى نفسه ، ومدخر فى عقله من آلام الأحداث ، ومتاعبها التى عايشها عن كثب فى فترة حياته ، ولقد اتضح لى - أثناء حديثى عن مدرسة الديوان - أن رواد هذه المدرسة لم ينعموا بالهدوء ، والاستقرار ، ورفه العيش ؛ بسبب الاحتلال والفقر ، وفساد الحياة ، والصراع الفكرى بين القديم والجديد ، وغير ذلك من العوامل التى جعلت الشباب حينذاك عظيم الأمل عظيم اليأس ، وبين الأمل ، والألم يحتدم الشك ، والقلق " ولا يعسر على الندب البصير أن يلمس مسحة القطوب للحياة فى أسرة الشاعر العصرى الحديث ، ويتفرس هذه الخطوب حتى فى الابتسامة المستكرهة التى تتردد أحيانًا بين شفتيه .. إن كان هذا العصر قد هز رواكد النفوس ، وفتح أغلاقها - كما قلنا - فلقد فتحها على مساحة من الألم تلفح المطل عليها بشواظها ، فلا يملك نفسه من التراجع حينًا ، والتوجع أحيانًا وهذا العصر طبيعته القلق ، والتردد بين ماضٍ عتيق ، ومستقبل مريب ، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون ، وبين ما هو كائن ، ففشيتهم الماشية ، ووجد كل ذى نظر فيما حوله عالماً غير الذى صورته لنفسه أحداث

العصر ، وتقدمه والشاعر بحيلته أوسع من سائر الناس خيالاً ، فالمثل الأعلى أرفع فى ذهنه منه فى أذهان عامة الناس ، وهو أطلقهم حسًا ، فألمه أشد من ألمهم ، وإنما يكون الإثم على قدر بعد اليون بين المنظر ، وبين ما هو كائن ، فلا جرم أن كان الشاعر أبطن الناس إلى النقص ، وأكثرهم سخطًا عليه "[1].

وإذا كانت هذه الأحداث سيئًا فيما ألم بشاعرنا من تمرد ، وقلق ، وتشاؤم ، وغير ذلك من العوامل النفسية التى لمسناها فى شعره ، فإن مطالعته لبعض الشعراء العرب الذين غلبت عليهم تلك النزعة ، كأبى العلاء المعرى ، وابن الرومى ، وكذلك قراءته الواسعة فى مختلف الثقافات الأوروبية ، وبخاصة الشعر الإنجليزى الذى غلبت عليه تلك النزعة السوداوية المتمردة كل ذلك كان سببًا فى بعث كوامن نفسه ، وما جاش فى صدره من متاعب وآلام ، وأحزان أفضى بها فى قصيدته " نفثة " التى استهلها بالتعبير عن ظمأه الذى لا ترويه مياه الأمطار ، ولا عذب المدام ، وعن حيرته ، وضلاله ، فلا نجوم السماء ، ولا معالم الأرض ترشده ، وعن يقظته ، وسهده الذى لا يزيحه عنه وثير الفراش ، ولا سحر السمار ، فهو غصان أسوان سأمان استعان بالشعر للتخفيف عن آلامه ، ولكن الشعر لم يطفئ أواره كما لا تطفئ الدموع أحزان الحزين ، لقد دفعته الوحدة فى هذه الحياة ، وحرمانه من الأخلاء إلى تمنى الموت ، وانتهاء حياته ، وأنينه ، وحسراته الواردة فى قوله [2] :

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا ∴ عذب المدام ولا الأنداء تروينى

حيران حيران لا نجم السماء ولا ∴ معالم الأرض فى الغماء تهدينى

يقظان يقظان لا طيب الرقاد بها ∴ تسبى ولا سمر السمار يلهينى

---

(١) ديوان الظامئ - تحقيق / محمود عماد ص ١٧ - طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

(٢) ديوان الظامئ ص ١٩٨ .

غصان غصان لا الأوجاع تبلينى ∴ ولا الكوارث والأشجان تبكينى

شعرى دموع وما بالشعر من عوض ∴ عن الدموع نفاها جفن محزون

يا سوء ما أبقت الدنيا لمغتبط ∴ على المدامع أجفان الماكين

هم أطلقوا الحزن فارتاحت جوانحهم ∴ وما استراحت بحزن فى مدفون

أسوان أسوان لا حب الأساة ولا ∴ سحر الرقاة من اللأواء يشفينى

سأمان سأمان لا صفو الحياة ولا ∴ عجائب القدر المكنون تعنينى

أصاحب الدهر لا قلب فيسعدنى ∴ على الزمان ولا خل فيأسونى

يديك فامح ضنى يا موت فى كبدى ∴ فلست تمحوه إلا حين تمحونى

ويبدو أن هذه النفثات جاءت معبرة عما آل إليه حاله ، وحال الشعراء فى عصره ، فهم ملوك ، ولكن أحوالهم أحوال العبيد ، طيور ولكن ، ولكن الحظوظ حالت بينهم ، وبين التحليق فى أفق السماء ، ارتقوا عنان السماء ، ولكنهم لم يبلغوا آمالهم ، ولم يستطيعوا الوصول إلى أرضهم ، تاهوا فى خيالهم ، وأحلامهم برفه العيش إنهم يترحمون على أنفسهم ، وعلى ما آلت إليه أحوالهم ، ويجدون فى ذرف الدموع سلواهم مما حاق بهم من ظلم ، وجور ، ونسيان فى هذه الحياة ، كما هو واضح فى قصيدته " حظ الشعراء " حيث يقول [1] :

ملوك فأما حلهم فعبيد ∴ وطير ولكن الجدود قعود

أقاموا على متن السحاب بأرضهم ∴ بعيد وأقطار السماء بعيد

---

(١) المرجع السابق ص ٨٥ .

زعموها إلى الخلود تؤدى ∴ ما رأينا سوى فناء ولحد

فيه مود على تجاليد مودى

قف بباب الحياة لا تدخلنها ∴ واعتصم يا بنى ما استطعت منها

سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد

هكذا أقنع المعرى الوليدا ∴ فتنحى عن الحياة بعيدا

والتقى الشيخ وابنه فى اللحود

فالمتأمل فى هذه المعانى يشعر بزفرات التشاؤم ، والآلام التى تخرج من جوانحه ليخفف معاناته من الحياة ، والأحياء ، ولقد قيل إن العقاد " كان يقصد من تشاؤمه أن يستغله لإثارة غريزة الخير فى الإنسان ، فهو إذا صور الرذيلة ، فإنما يريد بذلك أن ينفر الإنسان منها ، وإذا تضايق من معاملة البشر بعضهم لبعض ، فإنما يريد بذلك أن يخفف من ثورة الظلم فى النفوس الطاغية ، فعساها أن تشعر بالشر الذى ترتكبه ، فترق أخلاقها ، وتعمل للمصلحة الإنسانية " [1] .

ويكشف لنا شعور العقاد الداخلى عن نظرته إلى الأحياء من حولهم ، وذلك من خلال الموازنة بينهم ، وبين بعض الحيوانات المتوحشة حيث يقول [2] :

ظلموا الوحش وهو بالله أحرى ∴ فيك بالأمن أيها الإنسان

إن للوحش جوعتين وأنتم ∴ جوعكم فى حياتكم ألوان

ومن ثم ، فقد قابل الناس باستعلاء ، وغرور ، وظن الناس قرودًا ، وكلابًا ، وديدانًا تستحق آراؤهم أن تضرب بالنعال على حد تعبيره الوارد فى قوله [3] :

---

(١) الأدب الحديث - د / محمد عبد المنعم خفاجى ١ / ١٨٧ .

(٢) ديوانه ص ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٣ .

فاليوم أكبرهم عندى كأصغرهم ∴ إن الطبيعة مقياسى ومكيالى

إنى لأصغر أرضًا ليس يعمرها ∴ من الخلائق أندادى وأمثالى

وكذلك قوله [1] :

ما كثرة المثبتين الأمر تثبته ∴ ولا بقلتهم للحق إيهان

فإن ألف ضرير ليس يعدلهم ∴ بالمبصر الفرد يوم الشك ميزان

فاضرب بنعلك دعواهم فكلهمو ∴ خواض ليل وهم فى الصبح عميان

كما أن استعلائه على الناس فى عصره جعله يستعذب الألم ويجاهد النفس عن رغباتها لكى يحقق لنفسه جانب التفوق فيقول :

ضاق الفضاء بما يحويه من فرح ∴ فكل ما فى قضاء الله فرحان

إلا المحب الذى لا حبه دنس ∴ ولا مودته خب وإدهان [2]

نفاه عن عرس الدنيا شواغله ∴ إن الحداد عن الأعراس شغلان

وفى موضع آخر يقول [3] :

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنما ∴ تنام إذا طال الصياح على النهم

وقهر الفتى آلامه فيه لذة ∴ وفى طاعة اللذات شىء من الألم

ومن قصائده الشعرية التى تدل دلالة واضحة على نزعته الرومانسية المتمردة قصيدته " ترجمة الشيطان " [4] ، ففى هذه القصيدة قصة شيطان ناشئ سئم حياة

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٢) إدهان . مكر وملق .

(٣) المرجع السابق ص ٣١ .

(٤) ديوانه ص ٢٤١ .

الشياطين ، وتاب عن صناعة الإغواء لهوان الناس عليه ، وتشابه الصالحين ، والطالحين منهم عنده ، فقبل الله منه هذه التوبة ، وأدخله الجنة ، وحفه بالحور العين ، والملائكة المقربين . غير أنه ما لبث أن سئم عيشة النعيم ، وملّ العبادة والتسبيح ، وتطلع إلى مقام الألوهية ؛ لأنه لا يستطيع أن يرى الكمال الإلهى ، ولا يطلبه ، ثم لا يستطيع أن يطلبه ، ويصبر على الحرمان منه فجهر بالعصيان فى الجنة ، ومسخه الله حجرًا ، فهو ما يبرح يفتق العقول بجمال التماثيل وآيات الفنون .

ولقد علق صاحب كتاب " حصاد الهشيم " على هذه القصيدة بقوله : " لأول مرة فى تاريخ الأدب العصرى والعربى أيضًا يرى القارئ عملاً فنيًا تامًا قائمًا على فكرة معينة تدور على محورها القصيدة ، وتجول ، ويعد هذا من أظهر مميزات الأدب الحديث ، وأكبرها ، فقد كان الرجل يقول القصيدة مسوقًا إلى قرضها بباعث مستقل عن النفس ، ولكنك ترى بناء مشيدًا بنيت فكرته لسبب مفهوم ، وعلى طبيعة مشروحة وأعمل الشاعر ذهنه فى جملتها ، وتفاصيلها ، ثم أفرغها فى قالب تخيره لها بعد الروية ، وعرضها فى اسلوب فنى موسيقى أبدعه لها " [1] ، ثم استهلها بقوله :

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم ∴ غسق الظلماء فى قاع صقر

ورمى الأرض به رمى الرجيم ∴ عبرة فاسمع أعاجيب العبر

فهوى الشيطان إلى الأرض ليضل الأرض فيها من يشاء بادئ الأمر أين يمضى ؟ :

بيد أن الشر ما زال أريبا ∴ وسبيل الغى ممهود الجناب

لن تراه حيث تلقاه غريبا ∴ أبد الدهر ولا نزر الصحاب

(١) حصاد الهشيم - إبراهيم عبد القادر المازنى ص ٤٥ - مطبعة دار الشروق .

فهبط أول ما هبط فى أرض الزنوج حيث :

لا ينام الظل فى أرجائها ∴ وهو ظل عليها قائم

فاحتقرهم الشيطان اللعين المزهوّ ، وسخر من قسمته " ومشى ينعم فى غير طرب " إلى أن استقر به المقام " حول بحر الروم أو بحر العجم " :

ورمى أول فسخ فأصابا ∴ ودعاه الحق واستلقى فنام

وأناب الحق عنه فاستجابا ∴ فإذا الحق لجاج واختصام [1]

وإذا الحق طلاء الخبثاء ∴ رسن الواهن سيف المعتدى

ضلة الجهال لغز الحكماء ∴ ذلة العبد عرام السيد

وتمادى اللعين فى شره " كلما أنبت زرعًا ينعًا " [2] غير أنه استهدف للتلف [3] ، لمداخلته الناس من جهات الضعف فى نفوسهم ثم أنف من فتنته أنما هو يأنف من إهلاكها :

ماله يفسده خلقًا عدموا ∴ آية الرشد وهبهم رشدوا

وعلام السلب بما غنموا ∴ وهم لو غنموا لم يحسدوا

كلهم طالب قوت والثرى ∴ ذل قوم أو تعالوا محتطب

وقصارى الأمر فى هذا الورى ∴ راسب يطفو وطاف يرسب

(١) معنى هذا أن الشيطان صنع للناس شيئًا دعاه الحق فكان علة خصامهم وانقسامهم فأغناه عن السعاية بينهم وإغوائهم بالمنكرات فى الأبيات التالية وصف ذلك الحق الذى صنعه الشيطان .

(٢) المقصود بالزرع هو ذلك الحق المصنوع .

(٣) لا عجب أن يكون الشيطان عرضة للتلف فإنه لما كان يداخل الناس من جهات الضعف فى نفوسهم فلابد أن يكون فى نفسه شبيهة تلك المواطن الضعيفة ، وإلا لما عرفها .

فيها أذان عيطان ∴ فيها أذان عيطان

فيها الإنس والجان ∴ فيها الإنس والجان

فيها أفراح وأحزان ∴ فيها أفراح وأحزان

فيها أربعة أعيان ∴ فيها أربعة أعيان

فيها أربعة أعيان ∴ فيها أربعة أعيان

فيها أربعة أعيان ∴ فيها أربعة أعيان

ثم بدا يتحدث لنا عن أول ساكن أقام فيه ، وعده ذروته التي وصفها بأنها شيطانة لأنها جبلت على الكذب ، والخيانة ، والنفاق ، والخداع ، وغير ذلك من المساوئ التي كادت أن تهز أركانه ، ثم عاد الساكن الثاني الذي وصفه بالفراء الفرنقش ، ولكن شدة بغضه جعله يدعي أن كل حجر فيه ألف لعبان بدلاً منه ، وهكذا يواصل عليه العديد من السكان الذين عايشهم من قريب ، ثم عبر عن بعضهم فقال :

أول السكن ∴ وما استوطنت بيان

وما أرهفت آذانا ∴ ولم أنس بقطان

فما روحان أو خيطا ∴ نة لاذت بشيطان

وقد عاشا وقين ∴ بقدير وحيان

وراءا - هكذا يحكو ∴ ن - في روح وريحان

وما أبصرت من هذا ∴ ولا من ذلك في آن

سوى عوانة عمر ∴ فاء تفري عرض عوان

.....

وعساء الساكن الثاني ∴ ويعش الساكن الثاني

يسراه الساس لا تسأل ∴ والرأس وقيطان

وقد خوفني علا ∴ وأعوان وأعوان

وقد صورني حجا ∴ وتنه كدان سجان

فما طال في عهدنا ∴ ولم أحد فجران

ووددت لو أن لي في ∴ كل حجر ألف لعبان

بديلاً منه أرضاه ∴ وأحوره بغفران

ويلتفت الشاعر إلى " كواء الثياب " وما يجتمع حوله من الأطفال ، والرجال والنساء كل ينظر حاله ، وتتعالى صيحاتهم ، وتكثر حركاتهم فيرى العقاد كل ذلك ثم يعبر عنه بقوله [1] :

لا تنتم لا تنتم ∴ إنهم ساهرون

سهروا في الظلم ∴ أو غفوا يحلمون

أنت فيهم حكم ∴ وهم ينظرون

في غد يلبسون ∴ في غد يمرحون

.....

كم إهاب صقيل ∴ بالة من إهاب

وقوام نيل ∴ في انتظار الثياب

---

(١) ديوان من دواوين العقاد ص ٢٩ .

وحبب جهل ∴ يردهى بالشباب

كلهم يحلمون ∴ فى غد يلبسون

وله أيضًا قصائد أخرى كقصيدة ساعى البريد ، ودار العمال ، ويوم الجهاد ، وصورة الحى فى الإذن ، وغيرها من القصائد الأخرى التى اتخذها وسيلة للتعبير عما هو كائن فى الحياة العامة من أشياء لا يلتفت إليها إلا صاحب النظرة الفاحصة المتأملة العميقة كالعقاد ، ومن على شاكلته .

التجديد فى القوافى :

عندما كتب الشاعر عبد الرحمن شكرى بعض قصائده ذات القوافى المتنوعة رحب العقاد بهذا الاتجاه الجديد ، ودعا إليه كما هو واضح فى قوله : " ولقد رأى القراء بالأمس فى ديوان شكرى مثالاً من القوافى المرسلة ، والمزدوجة ، والمتقابلة ، وهم يقرأون اليوم فى ديوان المازنى مثالاً من القافيتين المزدوجة والمتقابلة ، ولا تقول إن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان ، والقوافى ، وتنقيحها ، ولكنا نعده بمثابة قمئ المكان لاستقبال المذهب الجديد إذ ليس بين الشعر العربى ، وبين التفرع ، والنماء إلا هذا الحائل ، فإذا اتسعت القوافى لشتى المعانى ، والمقاصد ، وانفرج مجال القول بزغت المواهب الشعرية على اختلافها ، ورأينا بيننا شعراء الرواية ، وشعراء الوصف ، وشعراء التمثيل ، ولا تطول نقرة الآذان من هذه القوافى لاسيما فى الشعر الذى يناجى الروح ، والخيال أكثر مما يخاطب الحس والأذان " [1] .

ومن ثم ، فقد جاء تجديده فى القافية من خلال بعض قصائده التى اتسمت بالتنويع فى قافيتها ، كقصيدته " النيل الغاضب " فقد تغيرت قافيتها كل خمسة أشطر ،

(١) مطالعات فى الكتب والحياة للعقاد ص ٤١٧ - مطبعة دار الكتاب العربى ببيروت .

ثم تكررت قافية الشطر الخامس بعد كل أربعة أشطر من قصيدته التى استهلها بقوله [1] :

أساهم يا نيل ؟ لست أدرى ؟ ∴ أم نائم يا نيل طول هجرى

فربّ شهر مرّ بعد شهر ∴ وعام سوء بعد عام شر

ولا بشفع زرت ولا وتر

لاقيتنى يا نيل والحيا ∴ كما تلاقى طارقًا غريبا

وذدتنا كيدًا لنا مريبا ∴ أغريت يا نيل بنا الرقيبا

يكاد يحصى سره وسرى

ومن قصائده التى جاء التنويع فى قافيتها أيضًا قصيدته " ترجمة الشيطان " التى جعل القافية فيها تتغير كل بيتين كما هو واضح فى قوله [2] :

قال : كونى محنة للأبرياء ∴ واحسأى أيتها النفس العقيم

أيها الشيطان أضلل من تشاء ∴ سوف تأويك وتأويه الجحيم

فهوى الشيطان صفر الراحتين ∴ خاوى الزاد ويا بئس السفر

أين يمضى ؟ أين افق الأرض أين ؟ ∴ فرحاب الكون ملأى بالأكر

بيد أن الشر ما زال أريبا ∴ وسبيل الغى ممهود الجناب

لن تراه حيث تلقاه غريبا ∴ أبد الدهر ولا تزر الصحاب

(١) ديوان : هدية الكروان للعقاد ص ٤٦ - مطبعة دار العودة ببيروت .

(٢) ديوانه ص ٢٤٢ .

فى الأبيات السابقة اتخذ الشاعر " الميم " قافية للبيتين الأولين ، ثم اتخذ " الراء " قافية للبيتين الثالث ، والرابع ، ثم اتخذ " الباء " قافية للبيتين الخامس والسادس ، وهكذا حتى نهاية القصيدة .

كما نظم العقاد أيضاً بعض قصائده التى سارت على نظام الموشح ، إذ جعل للموشح مطلعاً من بيتين تتحد عروضهما فى قافية ، وضربهما فى قافية أخرى ، ثم أتى بالدور من ثلاثة أبيات تتحد أعاريضهما فى قافية ، وأضربهما فى قافية أخرى تدرك ذلك فى قصيدته " سباق الشياطين " حيث يقول [1] :

يـا شـياطين الـدجى حـى هـلا ∴ وتغـنى الآن بالفعـل الـسـديم

لبكـم فى الـنـاس أعلـى مـنـزلا ∴ فلـه عنـدى مقاليـد الجحـيم

رن فى الـسـدة صـوت الكبريـاء ∴ راتـع الصـيحة مرهـوب الصـدى

قـال إنى أنـا داء الأعليـاء ∴ أنـا داء فـم فيـه الـردى

مـالئ بـالغيظ قلـب الضـعفاء ∴ تـارك النابـه فـيهم أوحـدا

رب حـر بـت أجريـه علـى ∴ منـهج الفتنـة والشـر العمـيم

ووضـيع رحـت أذروه إلى ∴ مطلع النجم كما يـذرى الهشـيم

وعلى الرغم من احتواء ديوانه على العديد من القصائد التى جاءت قافيتها متنوعة ، مثل : قصيدته حلم اليقظة ، شفاعة الغراب ، ساعى البريد ، عن يا كروان ، آه من التراب ، مناجاة الدنيا ، وغير ذلك من القصائد التى أبرزت هذه الظاهرة فى شعره على الرغم من كل هذا ، إلا أنه لم يستمر كما استمر غيره فى هذا الاتجاه الذى أفضى إلى وجود شعر متحرر من القافية ، بل نجده يلتزم بالقافية الموحدة ، وينعى على

(١) ديوانه ص ٤٥ .

الشعراء الذين جرفهم التنويع إلى عدم الالتزام بالقافية ، فنجده يقول : " ولكنى أرانى اليوم ، وقد انقضت ثلاثون سنة على كتابة تلك المقدمة ، ولا يزال اختلاف القافية بين البيت ، والبيت يقبض سمعى عن الاسترسال فى متعة السماع ، ويفقدنى لذة القراءة الشعرية ، والقراءة النثرية على السواء ؛ لأن القصيدة المرسلة عندى لا تطربنا بالموسيقى ، ولا يطربنا بالبلاغة المنثورة التى تتابعها ، ونحن ساهون عن القافية غير مترقبين لها من موقع إلى موقع إلى موقع ، ومن وقفة إلى وقفة ، والظاهر أن سليقة العربى تنفر من إلغاء القافية حتى فى الأبيات التى تحررت منها كل التحرر " [1] .

التجديد فى الأوزان :

جاء تجديد العقاد فى الأوزان الشعرية من منطلق دعوته إلى التجديد ، والتصرف فى البحور الشعرية لحل صعوبة الالتزام بالبحر الواحد وبخاصة فى القصيدة الطويلة ، فنجده يقول : " إن فى وسع الشاعر اليوم أن ينظم الملحمة من مئات الأبيات فصولاً فصولاً ، ومقطوعات مقطوعات ، وكلما انتهى من مقطوعة بدأ فى قافية جديدة تريح الأذن من ملالة التكرار ، ويمضى القارئ بين هذه الفصول ، والمقطوعات كأنه يمضى فى قراءة ديوان كامل لا يريبه منه اختلاط الأوزان ، والقوافى بل ينشط به إلى المتابعة والاطراد " [2] .

وتبدو لنا مظاهر تجديده فى موسيقا شعره من واقع استخدامه لبعض البحور القصيرة ، والمجزوءة ، والتنويع فى الشطرات ، وغير ذلك مما لمسناه فى بعض قصائده كقصيدته " بعد عام " التى جاءت من مجزوء الرمل ، وتفاعيله فاعلاتن أربع مرات ويدخل الجزء - وهو حذف تفعيلة من كل شطرى البيت - فى بحر الرمل جوازًا ،

(١) يسألونك للعقاد ص ٧٣ - طبع المكتبة العصرية ببيروت .
(٢) يسألونك للعقاد ص ٩٠ .

والذى فعله العقاد أنه شطر البيت إلى شطرين جعل الأول مكونًا من ثلاث تفعيلات ، والشطر الثانى جعله مكونًا من تفعيلة واحدة فقال [1] :

كاد يمضى العمامُ يا حلو التمنى ∴ أو تـــــــ

تفعيلتين ، وهما " متفاعلن متفاعلن " ثم جعل البيت الثانى مكونًا من أربع تفعيلات ، والبيت الثالث مكونًا من تفعيلتين ، أما البيت الرابع ، والخامس ، فتكون كل منهما من أربع تفعيلات ، والسادس تكون من تفعيلتين كما هو واضح فى قوله [1] :

شبران من ذاك البناء

بينى وبين المال والدنيا العريضة الثراء

ليست بأقصى فى الرجاء

فى حفرة المدفون فى شبرين فى جوف العراء

كلا ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء

أعرفت آماد السماء ؟!

ولقد قيل : إن العقاد " توسع فى استخدام أوزان البحور ، وذلك كاستخدامه لصورة من الخفيف الذى لم يرد منه فى أمهات الكتب سوى بيت واحد " [2] .

كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " يستشهدون به غير منسوب لقائل :

إن قدرنا يومًا على عامر ∴ نتصف منه أو ندعه لكم

وهذا الوزن هو : مستفعلن فاعلاتن فاعلن مرتين استخدمه العقاد ، وجعل جميع أشطر أبيات مقطوعته (وردة محزنة) تنتهى بالوزن " فعلن " لا " فاعلن " فقال [3] :

وردتى فيم أنت ضاحكة ∴ يلمع البشر منك من لحا

فيم هذا الجمال يحزننى ∴ رونق فيه كان لى فرحا

---

(١) ديوان من دواوين العقاد ص ٤٠ .

(٢) شاعرية العقاد فى ميزان النقد الحديث - د / عبد الحى دياب ص ٢٠٥ - دار النهضة العربية .

(٣) ديوانه ص ٢٩٥ .

ولقد علق صاحب موسيقا الشعر على هذا بقوله : " وإذا نحن ذكرنا أن ما جاء فى ديوان العقاد من البحر الخفيف هو حوالى خمسمائة بيت ، وليس فيه إلا هذه القطعة ذات العشرة أبيات اتضح لنا أن العقاد قد تعمد النظم من هذا الوزن تعمدًا وقصد إليه قصدًا " [1] .

---

(١) موسيقى الشعر - د / إبراهيم أنيس ص ٩٢ .

من شعراء مدرسة الديوان

عبد الرحمن شكرى

مظاهر التجديد فى شعره :

ويبدو لنا مظاهر تجديده أثناء حديثه عن الطبيعة ، ومفرداتها التى اندمج فيها ، وعاش حياته يتجاوب مع أصداء أنغامها ، ويرشف من رحيقها الأخاذ ، فيفرز لنا أعذب ألحانه المشرقة الوضاءة فى قصيدته " تحية للشمس عند شروقها " فنجده يبادر بتشخيصها ، ويخلع عليها صفات الأحياء ، فيجعلها تغازل الغصن كما يغازل المعشوق عشيقته برفق وحنان ، ويجعلها أيضًا تمسح وجه الغدير ليزداد لمعانًا ، وإشراقًا بأشعتها الذهبية التى تنعكس على مائه ، وتذم وجه المريب ، وتحمد وجه البشير ، وتحث المقلة على هطل الدمع الغزير رمزًا للبهجة ، والسعادة والسرور فقال [1] :

غازلى الغصن برفق ∴ وامسحى وجه الغدير
رسلى العيد ابتساما ∴ من أقاحى الثغور
واذمى وجه مريب ∴ واحمدى وجه بشير
وسلى المقلة أن تش ∴ رق بالدمع الغزير
إن فى الدمع إذا استغـ ∴ زر إعلان السرور

ثم تأمل هذه الصورة المبتكرة التى رسمها لأشعة الشفق الحمراء القانية أثناء انعكاسها على صفحة ماء الغدير ، فماثلت صورتها صورة خدود الفتاة الجميلة العذراء التى انتابها الخوف ، والخجل وقت زفافها إلى عريسها حيث يقول :

(١) ديوان عبد الرحمن شكرى - تحقيق / نقولا يوسف ص ٣٤ - مطبعة منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦٠م .

وكأن شفق الغرو ∴ ب إذا استقر على الغدير
خجل المليحة يوم تجـ ∴ ـلوها الزفاف على السرير

كما جاءت قصيدته " الشعر والطبيعة " تفصح عن الصلة القوية التى تربط بين مشاعر الإنسان ، والطبيعة ، فإذا غنت الطيور وغردت فى الأياكى تغنت المشاعر ، والأحاسيس فى الأبدان ، واهتزت القلوب طربًا ، وفرحًا فى الصدور ، وإذا غضبت الطبيعة ، وثارت رياحها ثارت النفس البشرية ، وتأثرت بغضبها ، وكأن النفس البشرية مرآة لما هو كائن فى السماء من إشراقة ، وضياء ، وعلى الأرض من رياحين ، وأزهار ، وأنهار ، وبحور ، وخرير غدير ، وليل وإصباح ، وغير ذلك من مظاهر الإشراق ، والسعادة التى عبر عنها بقوله [1] :

إذا غنت الأطيار فى الأيـ ـك صدحًا ∴ تغنت لأشجان الفؤاد طيور [2]
وللريح هبات وللنفس مثلها ∴ تغنى رخاء فيهما ودبور
وما للشعر إلا القلب هاج وجيه ∴ وما للشعر إلا أن يثير مثير
ترى فى سماء النفس ما فى سمائنا ∴ وتبصر فيها البدر وهو منير
وما النفس إلا كالطبيعة وجهها ∴ رياض وأضواء بها وبحور
وفيها صراخ اليم إن ماج موجه ∴ وفيها خرير خافت وغدير
وليل وإصباح لها وكواكب ∴ تسير بآفاق بها وتدور

(١) ديوانه ص ٢٦٦ .
(٢) الرخا : ريح لينة ، والدبور : ريح شديدة ، خافت : أى صوته ضئيل .

ويستمر الشاعر فى المزج بين مشاعره ، وأحاسيسه ، وبين بعض المفردات الطبيعية الغناء التى يشعر أثناء استمتاعه برياضها ، وأزهارها كأن قلبه طائر يطير ، ويغرد نشوة ، وفرحًا على الأغصان ، وإن ركب أمواج البحور ، فكأن قلبه موجة تتسرب ، وتسير بين هذه الأمواج وإذا اعتلى قمم الجبال فكأن قلبه نسر شامخ لا يخاف من هذه المرتفعات ، بل يأنس بها كما يأنس النسر بوكره ، وإذا كانت أغصان الخريف تنثر زهورها فإن الشعر الجيد يجود بما تشعر به العواطف ، والانفعالات من مظاهر جميلة عبر عن هذه المعانى بقوله :

إذا كنت فى روض فقلبى طائر ∴ يغنى على أغصانه ويطير

وإن كنت فوق البحر فالقلب موجة ∴ تسرب فى أمواجه وتسير

وإن كنت فوق الشم فالقلب نسرها ∴ وللنسر فى شم الجبال وكور

وتنثر أغصان الخريف زهورها ∴ كما جاد بالشعر الجليل شعور

أما قصيدة " عصفور الجنة " فقد جعل الشاعر قلبه عشًا لهذا العصفور ، ثم راح يستلهم منه شعره الوجدانى من خلال هذه الصورة الزاهية المشرقة التى رسمها لهذا البستان الذى يزهو بالمياه ، والزهور ، والأغصان ، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة الغناء التى تجعل هذا العصفور يغرد ، ويشدو بما هو كائن فى النفس من مشاعر ، وأحاسيس لا تختلف كثيرًا عن مشاعره وأحاسيسه فقال [1] :

ألا يا طائر الفردو ∴ س قلبى لك بستان

ففيه الزهر والماء ∴ وفيه الغصن فينان

فغرد فيه ما شئت ∴ فإن الحب مرنان

(١) ديوانه ص ٢٢٦ .

وفيه منك أنغام ∴ وفيه منك ألحان

وللأشجان أوتار ∴ ولليأسات وعيدان

ألا يا طائر الفردو ∴ س إن الشعر وجدان

وفى شدوك شعر النف ∴ س لا زور وبهتان

وبديوانه العديد من القصائد كقصيدة الفصول التى تعد إحدى روائع شكرى الشعرية وذلك لاحتوائها على مظاهر الطبيعة فى الفصول الأربعة ، كما مزج فيها بين المشاعر والأحاسيس الإنسانية وذلك من خلال استهلاله بمخاطبة النفوس وآمالها وحثها على الطيران والتغريد والاستمتاع بمظاهر الطبيعة الغناء وخاصة فى فصل الربيع [1] .

التشاؤم فى شعره :

إذا كانت الحياة مليئة بالخير والشر ، وبالسرور والحزن ، وبالنور والظلمة ، وبالأمل واليأس ، فإن الإنسان بقوة إيمانه وعزيمته لديه القدرة على تحمل الصعوبات ، والمتاعب التى تواجهه أحيانًا فى حياته ، ولكن هناك من ينتابه الضعف ، والفتور فى عزيمته ، ويركن إلى الاستسلام ، وعدم المواجهة فيكون ذلك سببًا فى يأسه وقنوطه ، وتشاؤمه من الحياة والأحياء ، ومن كل شىء يحيط به من حوله " ولعل مصر لم تعرف فى عصورها المختلفة شاعرًا متشائمًا ضاق بكل ما حوله حتى بنفسه كما عرفت فى عبد الرحمن شكرى ، وكأن الحياة ، وكل ما يتصل بها محنة واسعة ، وهو يسلط مشاعره وأفكاره على هذه الحياة لعله يستطيع أن يفهمها ، أو يقهرها ، ولكن أنى له ؟ إنها أقوى وأعمق من كل فكر وشعور ، فيشفق ويقلق ، ويفزع ، ويشقى بإشفاقه ، وقلقه وفزعه ويحاول ما وسعه أن يخلص من ذلك كله ، ولا يجد سبيلاً إلى الخلاص ،

(١) ديوانه ص ٤٦٢ .

فقد تراكمت الظلمات من حوله واسودت الدنيا فى عينه ، بل اسودت نفسه ، وتعقدت تعقدًا شديدًا ، تعقدًا يشبه أن يكون محنة "[1] .

ولعل مرجع ذلك إلى إحساسه الشديد بما آلت إليه الحالة الاجتماعية فى عصره حتى أصبح الشباب المصرى على حد تعبيره عظيم الأمل عظيم اليأس بسبب استبداد الاستعمار ، وظلمه الذى أفسد الحياة فسادًا لا يدع أملاً فى أن يحقق الشباب آمالهم .

ولا يفوتنا تأثر شاعرنا بشعراء الحركة الرومانسية الذين أصابهم داء التشاؤم ، وكذلك تأثره بابن الرومى ، وأبى العلاء المعرى الذى أصبح التشاؤم عنده عقيدة ، وسلوكًا بل أصبح مذهبًا ، وفلسفة ، فتشاؤمه ليس كتشاؤم المتنبى تعبيرًا عن مجتمعه ، والناس من حوله فحسب ، بل هو تعبير عن آراء تكونت له من قراءاته ، ومن ظروفه بالإضافة إلى ظروف مجتمعه ، وهى آراء يدين بها فى تفكيره كما يدين بها فى سلوكه ، فيحرم نفسه من متع الدنيا فى الطعام ، والزواج والأولاد ، بل إنه ليدعو من حوله إلى إيقاف التزاوج ، والتوالد حتى تنتهى الحياة الإنسانية التعسة ، وينتهى هذا الشقاء الذى يضنى الإنسان فى الأرض ، ويقال إنه أوحى أن يكتب على قبره :

هذا ما جناه أبى علـ ∴ ـى وما جنيت على أحد

ولعله لم يؤمن بشىء كما آمن بأن الموت هو الخلاص السعيد من تلك الحياة البغيضة التى يحياها الناس ، والتى يتجرعون فيها الغصص والآلام "[2] .

والقارئ فى بعض القصائد الواردة بديوان شكرى يشعر بمدى تأثره بمثل هذه الآراء التى استقاها من الثقافتين العربية والغربية فجاء تأثره متمثلاً فى عنوان بعض قصائده مثل : الموت ، الحب والموت ، الأزاهير السوداء ، شاعر يحتضر ، ضوء القمر

(١) دراسات فى الشعر العربى المعاصر - د / شوقى ضيف ص ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٨ .

على القبور ، التى قدم لها بهذه المقدمة : " إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور خشع من جلاله ذلك المنظر ، ولكنه إذا رأى ضوء القمر على القبور امتلكه الفزع من قساوة ذلك المنظر الذى يحكى له فناء الجمال فى الموت ، وفناء الموت فى الجمال "[1] .

فالشاعر يخاف من الموت ، ويجزع منه ؛ لأنه يلتهم كل مظهر جميل من مظاهر الحياة ، ولذلك نجده ينتابه الفزع ، والجزع ، عندما يقف على القبور ويرى ضوء القمر عليها ، فيخيل إليه أن هذا الضوء مثله كمثل السحاب القاتم من شدة ظلمته ، وتجهمه ، ومن هنا جاءت كراهيته للموت الذى يكرهه جميع الناس حتى ولو كانوا شجعانًا وأقوياء ، ولديهم القدرة على مواجهة الخطوب ، والشدائد ، ولكنهم يعجزون عن مواجهة خطر الموت كما هو واضح فى قوله[2] :

إنى رأيت بياض ضوئك موهنا ∴ فوق القبور كعارض يتهلل[3]

ففزعت من ذاك البياض كأنه ∴ لون المشيب على الذوائب يثقل

ولربما كره الفتى صور الردى ∴ وهو الجرئ على الحمام المقبل

ولقد رأيتك والقبور كأنها ∴ أشباح ساكنة النواظر مثل

نظر الجرئ إلى القتيل مجندلا ∴ والروع فى أنفاسه يتعجل

(١) ديوانه ص ١٤٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) العارض : السحاب ، ذوائب الشعر : المسترسل منه ، المقبل : صفة للجرى ، مثل : جمع مالل فى أنفاس الجرئ لأن أنفاس المروع تأتى مستعجلة .

وإذا كان الهلال رمزًا للبهاء ، والجمال ، ومصدر إلهام لجميع الشعراء ، فإن صورته هذه جاءت مغايرة لهذه الصورة المليئة بالكآبة والسآمة حتى أصبح مثله ، كمثل الحسناء التى دهمها الموت فباتت تذوى وتذبل فى فراشها فقال :

ولقد رأيت على الهلال سآمة ∴ سأم يعالج مثله المتأمل

فكأنه الحسناء يطرقها الردى ∴ فتبيت تذوى فى الفراش وتذبل

وفى قصيدة " الموت " يخلع عليه العديد من الصفات التى تبرز مكانته وقدسيته عنده ، فتارة يشبهه بالمعبد ، وتارة أخرى يشبهه بالحاكم العادل الذى ينصف المظلوم من الظالم ، وبملاذ الملهوف من عدوه ، وبمبرئ المكلوم من شرور الحياة ، وبالستر الذى لم يصدع ، والحصن الذى لا يفتح ، وبالأم الحانية على ولدها ، ثم يشتاق ويتلهف إلى مقابلته ، فيقابله مقابلة الأصدقاء والأحباب عقب عودتهم من رحلة البعد والفراق حيث يقول [1] :

أبا معبدًا قربانا فيه عيشنا ∴ نضحى به لذاتنا والأمانيا

ويا منصف المظلوم من كل ظالم ∴ ويا مهرب الملهوف يخشى الأعاديا

ويا مبرئًا كلم الحياة بطبه ∴ جلالك أن قد راق إن كنت شافيا

ويا ستر لم يصدعك هم ولوعة ∴ ويا حصن عطلت الدروع الأواقيا

فيا موت يا أمًا أطالت تصائما ∴ أما لك قلب يرأم الولد حانيا

ألا أرضعينى منك يا أم درة ∴ لأذكر ما قد كنت فى العيش ناسيا

فيا موت أقبل باسط الوجه طلقه ∴ فإن جميم الصحب ما كنت لاقيا

---

(١) المرجع السابق ص ٥٤٢ .

وفى موضع آخر من هذه القصيدة نجده يحب الموت حب العاشق لوجه عشيقته وثغرها فيقول :

أحبك حب الصب وجه عشيقه ∴ ليقع ثغر منك صديان ظاميا

وكم طربت أذنى للحن أجدته ∴ أعدمنك لحنًا يترك السمع واعيا

ومع ذلك فهو لا يكره الحياة ، بل يحبها ويرى أن مثلها ، كمثل الريح الطيبة التى ينعم الإنسان بهوائها البارد ، ونسيمها العليل ، وأنه لا يخاف الموت ، وإنما يشتد حزنه على مفارقة الحياة رغم جهله ، وعدم علمه بما سيحدث له فيها على حد تعبيره الوارد فى قوله :

وليست حياة المرء إلا كنفحة ∴ سل الموت عنها والسنين السوافيا

وما بى خوف الموت بل حر حسرة ∴ لفقد حياة فيه لم أدر ما هيا [1]

فحديثه عن الموت ، والإكثار من ذكره يعد رمزًا من رموز تأثره " بالمدرسة الإنجليزية التى عاش فى بيئتها القاتمة أوائل القرن العشرين ، وعلى مقربة من ذلك التراث الأدبى لمدرسة القبور تلك ، ولا نستبعد أنه قرأ أشعارهم ، واطلع على آثار الدكتور يانج فيلسوف هذه المدرسة بفكر وخيال جامح ، فرأى هذا اللون من الشعر الغامض القاتم موافقة لنفسه ، وميلاً نحوها كما رأى فيه لونًا جديدًا من ألوان الشعر لم يستثر ، ولم يعن به إلا القليلون من شعرائها العرب فى عصوره الذهبية ، وذلك إما انصرافًا عن الأفكار الفلسفية ، وشعر التأملات ، وإما حرجًا من الخوض فى موضوع أحاطته الموروثات الدينية والعقائدية بجو من القدسية والجلال " [2] .

---

(١) أسفت الريح الثراب : بددته فهو سواف .

(٢) جماعة الديوان - د / محمد يسرى ص ١١٣ - طبع مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية .

بالإضافة إلى هذا فقد اتخذ شاعرنا من شعر بعض الشعراء القدماء زادًا له ل
مستهل حياته الأدبية ، ولا يفوتنا أن من بين هؤلاء الشعراء من شغل نفسه ، وفكره
بالموت ، والبعث ، والحساب ، كأبى العلاء المعرى الذى أنفق نصف قرن من حياة
يواجه هذه الخواطر إذا اصبح يواجهها وإذا أمسى يواجهها أثناء الليل إن أبطأ عل
النوم ، ولعله يواجهها أثناء النوم إن صورتها له الأحلام " [1] .

وهكذا نجد الشاعر فى معظم قصائده التى تحدث فيها عن الموت يوازن بين
الحياة ، ومتاعبها وآلامها وشقائها ، وبين الموت وراحته ، وهدنته ، وسكونه ، وكان
القبر وظلمته ، ووحشته فى رأيه أسعد حالاً وأكثر سعادة وأهدأ بالاً من الحياة
وصخبها ، وأوزارها فيفضل الموت على الحياة ، ويعده المنقذ من آلامها ، ولك
عندما يتذكر الموت ، والقبر وظلمته تنتابه الحيرة فى تفضيل أيهما على الآخر ، ول
النهاية يلبى نداء الحياة ويفضلها على الموت رغم إحساسه وشعوره ببؤسها وشقائها .

الجانب التأملى فى شعره :

كشف لنا الشاعر من خلال تأمله فى الحياة ، والأحياء عن أخلاق بعض الناس
الذين مالت نفوسهم على جانب الشر ، والفساد ، وغير ذلك من المساوئ الاجتماعية
التى كانت شائعة فى عصرهم ، فلقد قيل : " إن الأخلاق المصرية بعامة قد تراجعت
ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى وثورة ١٩١٩ م فالصدق والإخلاص ، والوفاء
والمروءة قد نقص مستواها عما كانت عليه من قبل ، وطغت على النفوس موجة م
النفعية ، ومن الحق أن معظم عيوبنا الأخلاقية قد ورثناها عن الأجيال الماضية ، وا
نتائج نظم الاحتلال التى كانت مضربة على البلاد كما أن الجانب الأكبر منها يرج
إلى الاحتلال الأجنبى ، وما أفسد من نفوس الناس ، وأخلاقهم ، ووطنيتهم ، ل

(١) مع أبى العلاء فى سجنه - د / طه حسين ص ٤٣ - مطبعة دار المعارف بمصر .

الذى نشكو منه من نفاق ، وجبن ، وذبذبة ، وقفت على المنافع الشخصية هو فى
الغالب من تراث الحكم المطلق وبتأثير الاحتلال " [1] .

ونظرًا لما لمسه الشاعر من مساوئ أخلاقية لدى بعض أبناء مجتمعه حينذاك ،
فقد جاء شعره محتويًا على سخريته اللاذعة من عصره ، وحوادثه التى أطربته وجعلته
يبادر بتعلم الرقص لكى يرقص رقصة يسميها رقصة اليأس يرقصها المحزون الذى
امتلأت نفسه أسًى وحزنًا ، وجوًى على حد تعبيره الوارد فى قوله [2] :

سأبذل جهدى فى تعلم رقصة ∴ لأرقصها إن الحوادث تطرب
فيا نفس قومى فارقصى فى جوانحى ∴ كما رقص المجنون يهذى ويلعب
فلا تعذلونى إن لليأس رقصة ∴ تعلمها المحزون من نشوة الأسى
وللنفس آهات من اليأس والجوى ∴ تحقر آهات الأناشيد والهوى

ومن ثم ، فقد كانت هذه المساوئ التى عايشها عن كثب سببًا فى سخطه على
الناس ، ووصفهم بأنهم قطيع من الغنم ، وأنهم جبلوا على اللؤم والخداع ، والمكر ،
والخسة ، وغير ذلك من الصفات التى تتصف بها الذئاب ، والقرود ، والكلاب
الضارية النهمة وإن استتر الذئب بجلدة السخل فقال [3] :

حدّث الدهر حديثًا صادقًا ∴ إنما الناس قطيع من غنم [4]

(١) عبد الرحمن شكرى - أحمد عبد الحميد ص ٨٢ .
(٢) ديوانه ص ١٦٩ من قصيدة " ثورة النفس " ومطلعها :
للنفس فى بعض الأحايين ثورة ∴ يكاد لها جسم الفتى يتمزق
(٣) ديوانه ص ٢٢٩ قصيدة " طبع الإنسان " ومطلعها :
إنما المرء خيال زائل ∴ سمة الآمال فيه كالقدم
(٤) بضة : أى ناعمة .

وصفات الذئب طبع فيهم ∴ وصفات القرد والكلب النهم

أين فخر الناس بالعلم وما ∴ يردع الأهواء من خير الحكم ؟

يبسط العلم عليهم جلدة ∴ بضة الملمس تخفى من نقم

جلدة الدخل بها الذئب ارتدى ∴ فإذا ما غفل الراعى هجم

وإذا ما اقتدر المرء سطا ∴ وإذا ما ضعف المرء حلم

وفى قصيدته " مرآة الضمير " تبدو لنا سخريته من فكرة الضمير الإنسانى ، وبين طبعه فمن جبل على الشر والفساد ، فضميره لا يزجره عما جبل عليه ، فالضمير مثله ، كمثل المرآة منها المخادع ومنها الصادق ، وفى صدقها يكون جزاؤها التحطيم والكسر ؛ لأنها تكشف للإنسان ما يريد أن يخفيه من رذائل ، كالحقد ، واللؤم ، والنفاق ، وغير ذلك من المساوئ الخلقية التى تكمن فى صدره فيقول [1] :

ضمائر هذا الخلق مثل طباعه ∴ وكممن ضمير لا ينهنه بالزجر [2]

وكم من ضمير فاسد تستثيره ∴ فتلقاه عند الخير والشر لا يبرى

وبعض المرائى خادع غير ناصح ∴ يواجه وجهًا منك بالحسن والبشر

ولكن منها صادقًا غير كاذب ∴ يريد الذى قد بت تخفيه من الصدر

فإن تر يومًا مثلها من وذيلة ∴ فليس لها خيرًا لديك من الكسر

إذا لاح يومًا شكل وجهك فوقها ∴ تبيت على ذعر وتصحو على ذعر

---

(١) ديوانه ص ٢٣٥ .

(٢) لا ينهنه بالزجر : أى لا يردع عن الشر ، لا يرى : أى لا يميز الشر من الخير ، المرائى : جمع مرآة ، الوذيلة : المرآة .

ترى فوقها ما بت تخفيه جاهدًا ∴ من السوء والأحقاد واللؤم والشر

.....

ولعل صراحته وجرأته فى إظهار عيوب الناس فى عصره كان سببًا من الأسباب التى حالت بينه وبين تحقيق ما كانت تهفو إليه نفسه من رغائب دنيوية كما هو واضح من قوله : " إن النجاح فى الحياة يستلزم طبائع لا يستقيم إلا بها ، وإنه ليخيل إلىّ أحيانًا أن ليس عندى هذه الطبائع مثل التملق ، والرياء ، والنفاق ، والضعة ، والاهتمام بالأشياء الدقيقة الحقيرة ، والمكر ، والتطفل ، وارتقاب الفرص الوضيعة ، واتخاذ كل وسيلة مهما كانت دنيئة لاكتساب ثقة الناس ، والإلحاح فى طلب المنافع منهم ، وإظهار الحاجة إليهم ، والتذلل لهم ، والتهافت عليهم وإخفاء مقابحهم مهما عظمت ، أو إظهاره فى مظاهر المحامد ، والفضائل ، وأن أكسر لهم سلسلة ظهرى الفقرية احترامًا وتبجيلاً ، وأن أضحك ، أو أهش ، أو أقهقه إذا تبسط أحدهم بالفكاهة الغثة الباردة .... وأن أبتسم إذا ابتسموا ، وأن أعبس إذا عبسوا ، كل هذه الصفات ليس عندى منها إلا القليل النادر (هذا ما أظن) وافتقادها هو سبب من أسباب فشلى فى كثير من المساعى " [1] .

وكما شغل الشاعر فكره بالتأمل فى حياة الناس ، وضمائرهم ، وعيوبهم شغل فكره أيضًا بالتأمل فى هذا الكون العجيب رغبة منه فى الوقوف على أسراره ، وكشف خفاياه ، وفتح مغاليقه ، فهو يرى أن الولوع بالمجهول من أمور الحياة ، والطبيعة ، والنفس ، والكون ، والشغف باستطلاعه وكشفه هو الذى أخرج الإنسان من المعيشة فى الكهوف ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة ، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة ، فأخذ يبحث تلك المظاهر ، وهو الذى أدى إلى كشف القارات ، والبحار ، وزاد علمه بالسماء ، وعلمه ركوب الهواء فى الطائرات حتى طمع فى

---

(١) الاعترافات للمازنى ص ٤٣ .

الوصول إلى الأفلاك وذلك الولوع بالمجهول هو الذى جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ، ومتعة ، وراحة ، ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون ، والحياة ، والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك فى أثناء بحثه عن المجهول من أمور الحياة ، والكون ، والولوع بالمجهول هو الذى أدى إلى سيطرة الأمم القوية التى تمكنت من كشف المخترعات التى زادتها قوة واستعلاء [1] .

ثم أردف هذا القول بخطابه الذى وجهه إلى المجهول قائلاً [2] :

يخوطنى منك بحر لست أعرفه ∴ ومهمة لست أدرى ما أقاصيه [3]

أقضى حياتى بنفس لست أعرفها ∴ وحولى الكون لم تدرك مجاليه

يا ليت لى نظرة فى الغيب تسعدنى ∴ لعل فيه ضياء الحق بيديه

أخال أنى غريب وهو لى وطن ∴ خاب الغريب الذى يرجو مقاصيه

أوليت لى خطوة تدحو مجاهله ∴ وتكشف الستر عن خافى مساعيه

كأن روحى عود أنت تحكمه ∴ فابسط يديك وأطلق من أغانيه

والروح كالكون لا تبدو أساقله ∴ عند اللبيب ولا تبدو أعاليه

وأكبر الظن أنى هالك أبدًا ∴ شوقًا إليك وقلب فيه ما فيه

---

(١) ديوانه ص ٣٩٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الهمه : الفكر ، مجاليه : مبادئه ، قاصاه : بعده والمراد بالغيب هنا المجهول ، تدحو : تبسط : يخال للمفكر أحيانًا أن خواطر النفس وأفكارها ريح تهب عليها أو يد تحركها كما تحرك يد الموسيقى أوتار عوده لأن اللبيب أدرى من غيره بعظم الروح أى شوقًا إلى ما تجهله العقل وتتوق النفس إلى معرفته .

فعالم الكون وأسراره ، والغيب وأحواله ، والحياة وناموسها ، كل ذلك يتراءى أمامه كأنه بحر بغير شطآن ، أو مفازة مترامية الأطراف لا يستطيع الوصول إلى منتهاها ، ومن ثم ، فقد تمنى أن يحقق شيئًا من سعادته ، ولو بنظرة يسيرة فى هذا المجهول أو يخطو خطوة تبسط له مجاهله وتكشف له شيئًا من أسراره ، ولكن هيهات هيهات بينه ، وبين ما تمنى ، فهو لا يستطيع أن يصل إلى شىء مهما تمنى كما يقول قطرة من هذا الغيب تروى ظمأه للمعرفة ، ومهما تمنى نورًا ينير له ظلمة هذا الوجود كما هو واضح فى قوله :

فليت لى فكرة كالكون واسعة ∴ أدحو بها الكون تبدو لى خوافيه

ليس الطموح إلى المجهول من سفه ∴ ولا السمو إلى حق بمكروه

إن لم أنل منه ما أروى الغليل به ∴ قد يحمد المرء ماء ليس يرويه

ولقد قيل : " إن وقفة شكرى أمام الكون وأسراره لا تنتهى به على شك ، ولا إلى قطع حبل الرجاء فى معرفة حقائق الوجود ، وروحه الخالدة ، وقلبه من هذه الناحية كان عامرًا بالإيمان ، وتصور ذلك أوضح تصوير قصائد مختلفة مثل : فى عرفات ، عظة الهجرة ، يا رحمة الله التى عمت الورى " [1] ، وغير ذلك من القصائد الأخرى التى حفل بها ديوانه الشعرى .

---

(١) الأدب العربى المعاصر فى مصر - د / شوقى ضيف ص ١٣٤ .

المبحث الخامس

جمعية أبولو ومجلتها

تعد جمعية أبولو ، ومجلتها مدرسة شعرية جديدة [١] ، ظهرت عقب حركتات التطور ، والتجديد فى الشعر العربى التى تزعمتها مدرسة الديوان ، وكلتاهما اكتستا بصبغة التأثر بالثقافة الإنجليزية التى عرف بها أصحابها [٢] .

فى سبتمبر ١٩٣٢ م أعلن الشاعر المصرى الدكتور أحمد زكى أبو شادى فى القاهرة ميلاد هيئة أدبية جديدة سماها " جماعة أبولو " [٣] ، وجعل مركزها القاهرة [٤] ، ثم اختارت هذه الجماعة أمير الشعراء أحمد شوقى رئيسًا لها ، ولعلها نظرت إلى شوقى بحسبانه شاعر العصر ، وفيه لمسات تتجاوز روح التقليد [٥] ، ثم اختارت أيضًا خليل مطران ، وأحمد محرم (نائبى الرئيس) ، وأحمد زكى ابو شادى (سكرتيرًا) والأعضاء الدكتور إبراهيم ناجى ، والدكتور على العنانى ، وكامل الكيلانى ، ومحمود عماد ، ومحمود صادق ، وأحمد الشايب ، وسيد إبراهيم ، وعلى

---

(١) مدرسة أبولو الشعرية فى ضوء النقد الحديث - د / محمد سعد شتوان ص ٥٣ - مطبعة دار المعارف بمصر .

ولقد قيل إن بعض النقاد كالدكتور مندور والدكتور شوقى ضيف وغيرهما ممن نفوا سمة " المدرسة " عن هذه الحركة الشعرية الجديدة لأنها لم تتقيد بمذهب شعرى معين ولكن البعض الآخر أطلق على هذه الجمعية الشعرية اسم مدرسة أبولو الشعرية كالدكتور حفاجى فى كتابه رائد الشعر الحديث والدكتور كمال نشأت فى كتابه أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر العربى كما أطلق عليها اسم مدرسة رائدها الأول أبو شادى ولعل ذلك كان سببًا فى عدم التقيد بآراء الآخرين طالما كانت شروط المدرسة متوفرة فى هذه الجمعية الشعرية الجديدة . انظر : المرجع السابق ص ٥٥ .

(٢) تاريخ الشعر العربى الحديث - مدقيش ص ٢٣٤ .

(٣) أبولو : كما هو معروف اسم لإله الشعر والموسيقا فى أساطير اليونان القدماء . انظر : قضايا جديدة فى أدبنا الحديث - د / مندور ص ٩٥ - طبع بيروت .

(٤) الأدب العربى الحديث - د / حفاجى ٢ / ٣ .

(٥) الشعر العربى المعاصر - محمود شوكت ص ٢٤٦ .

محمود طه ، ومحمود أبو الوفا ، وحسن القاياتى ، وحسن كامل الصيرفى [١] ، وفى يوم الاثنين ١٠ أكتوبر عام ١٩٣٢ م اجتمع الشعراء فى كرمة ابن هانئ بالجيزة برئاسة أحمد شوقى ، وبذلك تم أول اجتماع لجمعية أبولو ، وانتظم فى صفوفها كل الشعراء من مختلف المشارب والنزعات [٢] مثل مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، وصالح جودت ، وعبد العزيز عتيق ، ومختار الوكيل ، ومحمد مصطفى الماحى ، وعثمان حلمى ، والعوضى الوكيل وغيرهم ، وأفسحت المجلة صدرها للأدب والنقد والشعر ، فكانت تنشر لشوقى ، وحافظ ، ومطران ، والعقاد والرافعى ، كما كانت تنشر لشعراء البلاد العربية والمهجر ، ومن بينهم أبو القاسم الشابى ، وإيليا أبو ماضى ، وإلياس أبو شبكة ، وشفيق معلوف ، ورياض معلوف ، والجواهرى ، والتيجانى بشير ، وسواهم ، ومن ثم صار شعراء أبولو ، وممن كانوا أعضاء فى جمعيتها يكونون مع رائدهم أبى شادى مدرسة متميزة فى الشعر المعاصر لها خصائصها وآراؤها [٣] .

---

(١) أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر العربى - د / كمال نشأت ص ٥٨ - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

(٢) تاريخ الشعر العربى الحديث - مدقيش ص ٢٤ .

(٣) الأدب العربى الحديث - د / محمد عبد المنعم حفاجى ٢ / ٥ .

أحمد زكى أبو شادى ومظاهر التجديد فى شعره

الوصف فى شعره :

يعد وصف أبى شادى لكل شىء وقع عليه بصره بصفة عامة ، ووصفه للطبيعة بصفة خاصة مظهرًا من مظاهر تجديده فى هذا الفن فهو يعتقد أن " عماد الأدب والشعر خاصة إنما هو الصدق ، والوفاء للطبيعة لا التصنع ، والمحاكاة الشائعة ، ومجافاة الطبيعة " [1] .

ومن هنا فقد جاء شعره الوصفى للطبيعة مغايرًا لما عهدناه لدى بعض الشعراء السابقين الذين أبرزوا عنايتهم بوصف المنظر الخارجى للطبيعة ، ورسم تفاصيله دون أن يستشفوا ما وراءه ، أو يتغلغلوا إلى أعماقه كما فعل شاعرنا الذى تعمق داخل مناظر الطبيعة ، وخلع أحاسيسه ، ومشاعره عليها ، واتخذها مصدرًا لإيحاءاته ، وباعثًا على التأمل العميق الذى يوحى إليه بالمعانى الخالدة ، والأفكار السامية ، وهذا ما لمسناه فى قصيدته " الربيع " الذى لم يأت وصفه فيها عبارة عن صور معروضة ذات أبعاد بصرية متمثلة فى الخضرة والماء ، والغدير ، والطيور المغردة ، وغيرها من الصور التى اعتاد عليها الشعراء أثناء وصفهم للربيع ، بل راح يضفى على ربيعه من مشاعر فرحه ، وسعادته التى كان يشعر بها أثناء عودته التى عفت مظاهر الأسى والحزن ، وحلت محلها مظاهر البهجة والبشر ، بما تفجر من الطبيعة من أنغام ، وألوان ، وروح ، وريحان ، وغير ذلك من المناظر الطبيعية التى تنعش الصدور وتجدد الأرواح على حد تعبيره الوارد فى قوله [2] :

أفض وغرد فأشهى صفوك الآن ∴ صفو تمش له حور وولدان

---

(١) قطرة من يراع فى الأدب والاجتماع - د / أحمد زكى أبو شادى ٢ / ٤٠ - مطبعة الظاهر بالقاهرة .

(٢) تاريخ الشعر العربى الحديث - مدقيش ص ٢٤٠ .

لا تشك من نكبات مر عاصفها ∴ فيم الشكاة وقد عفى الآسى الآن

عاد الربيع فعاد البشر وانجبست ∴ من الطبيعة أنغام وألوان

وما الربيع سوى روح يجددنا ∴ فكل شىء به روح وريحان

ومن معيدى إلى الغابات فى و ∴ طن تأيت عنه وقلبى منه ملآن

كم جولة لى فيها والربيع بها ∴ فل يلاعبنى والنور غضبان

وفى موضع آخر من شعره نجده يربط حبه ، والطبيعة ، ويعقد الصلة بينها ، وبينه ، وذلك من خلال معانيه التى تعبر عن مدى شوقه ، وظمئه إلى محبوبته ، فظمؤه إليها لا يقل شأنًا عن ظمأ الأغصان ، والزهور ، وعطشها وشدة شوقها إلى مياه الأمطار ، ومن ثم فهو يناجى السحب ، ويستدر عطفها ، لتبعث إليه رسالة الحب الوفى الباكى لعلها تطفئ ظمأه وشوقه ، وتنثر عطفها عليه كما تنثره بقطرات مياهها على الزهر ، والأشواك كما هو واضح فى قصيدته " وحى المطر " حيث يقول [1] :

أنا ظامئ والكل حولى ظامئ ∴ فتقطرى يا سحب كيف حنت

هذى الغصون تناولت ما خصها ∴ ولبثت فى ظمئى لوحيك أنت

تتساقط القطرات من يد زهرة ∴ ليد الأخرى والجميع سكارى

وأنا الوحيد فأين أين حبيبتى ∴ حتى ترد جوى وتطفئ نارا

هلا بعثت إلى دفين شعورها ∴ برسالة تحب الوفى الباكى

فلعلها تأتى وتنثر عطفها ∴ كالقطر فوق الزهر والأشواك

---

(١) ديوان أنداء الفجر - نظم د / أحمد زكى أبو شادى ص ٧٠ - مطبعة التعاون .

ومن ملامح حبه وشدة شغفه بالطبيعة ، ومظاهرها الساحرة أن اتخذها أما له ، فراه ينهج نهج الرومانتيكيين ، ويسميها بـ (أمى الطبيعة) فى كثير من نماذجه الشعرية مثل قوله [١] :

أمى الطبيعة فى نجواك إسعادى ∴ وفى ابتعادى أعانى دهرى العادى

وفى حمى إخوتى من كل طائرة ∴ وكل نبت نبيل وحيك الهادى

ما بالها هى صفوى وحدها فإذا ∴ رجعت للناس لم أظفر بإسعاد

كأنما الناس أعداء فبعضهمو ∴ حرب لبعض وحساد لحساد

وكذلك قوله [٢] :

أقبل الصيف معلنًا لربيع ∴ بخنو الأبناء للآباء

ولدته الأم (الطبيعة) من قبل ∴ أبيه كمعجز الأنبياء

ويقول أيضًا [٣] :

فرحت به الأم الطبيعة مغلما ∴ لاقى الوصال العاشق المعتل

بالإضافة على هذا فالمتأمل فى شعره الذى شدا به فى باكورة حياته يجد العديد من القصائد التى تدل دلالة واضحة على مدى حبه للطبيعة ، وانشغاله بمفاتنها الأخاذة ، فنجده يلتفت إلى شجر النارنج ، وينشد " ألحان النارنج " [٤] ، ويلتفت

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٢) ديوان أشعة وظلال - أحمد زكى أبو شادى ص ١٩ - مطبعة الشباب ١٩٣١ م .

(٣) ديوان أطياف الربيع - أحمد زكى أبو شادى ص ٣ - الطبعة الأولى ١٩٣٣ م - بدون .

(٤) قطرة من يراع فى الأدب والاجتماع - أحمد زكى ابو شادى ٢ / ١٢٨ .

إلى النيل وينظم " النيل العظيم " [١] ، ويشعر بالرياحين ويتنفس أريج الرياحين فى فصل الخريف فينشد " بنات الخريف " [٢] ، وغير ذلك من القصائد المتعددة التى تبرهن لنا عن مدى صدقه فى قوله السابق عماد الأدب والشعر خاصة إنما هو الصدق ، والوفاء للطبيعة لا التصنع ، والمحاكاة الشائعة ومجافاة الطبيعة [٣] ، وكما التفت شاعرنا إلى الطبيعة ومناظرها الجذابة التفت أيضًا إلى المرأة وأنوثتها الأخاذة فمن المعروف لدينا أن الصلة بين المرأة ، والطبيعة صلة تليدة أوجدها شعراؤنا القدامى فى ثنايا أشعارهم الغزلية . لقد اتخذوا من جمال عيون المها عيونًا لها ، كما اتخذوا من سواد الليل سواد لشعرها ، ومن عنق الظبى جيدها إلى غير ذلك من النعوت المستحسنة التى أخذوها من بعض مفردات الطبيعة الصامتة والصائتة ، ثم خلعوها على المرأة لإظهار جمالها الأنثوى .

وفى أثناء حديثنا السابق عن فن الغزل عند بعض الشعراء المحدثين ، كالبارودى ، وحافظ ، وغيرهما وجدنا نهجهم لا يقل شأنًا عن نهج القدماء فى استعارتهم مشى السحابة لمشيتها ، ولدونة غصن البان لقدها ، وغير ذلك من الصور التى وسمتهم بسمة الاحتذاء ، والتقليد .

أما شاعرنا أبو شادى فقد نظر إلى المرأة نظر احترام ، وإجلال وتقديس ، فالمرأة فى رأيه " جديرة بأن تحترم جديرة بأن تقدس روحيًا وجسميًا ، ومن العار أن ننظر إليها نظرة احتقار ، أو نظرة الابتذال ، أو نظرة المتعة الفاسدة أو نظرة الحياء العقيم ، فيكون معنى ذلك انقلاب أخلاقنا ، وسوء مصيرنا ، وتفشى الشذوذ الجنسى

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٩ .

(٢) ديوان أنداء الفجر ص ٦٧ .

(٣) قطرة من يراع فى الأدب والاجتماع ٢ / ٤٠ .

والخلال الأمة "[1] ، فمن هذا المنطلق ، فقد حظيت المرأة بجانب كبير من التقديس ، والاحترام فى شعره ، فارتفع بعاطفة حبها ، وجعله حبًا مقدسًا ، وطاهرًا ، ومتألقًا مثله ، كمثل النور الذى تسامى ، وارتفع عن سنى النور ، وعلى الرغم من استمراره فى شدوه بهذا المعانى السامية ، إلا أنه يعد نفسه مقصرًا فى حقها ، فهو شغوف بلقائها طامع فى رضائها لا يشعر بهمه وقلقه ، وسهده إلا فى فراقها ، وبعدها عنه ، عبر عن هذا بقوله [2] :

حبى أنت لى معنى أجله ∴ فوق المعانى التى تحكى بتعبيرى

معنى تقدس فى طهر وفى ألق ∴ كالنور لكن تسامى عن سنى النور

معنى أطل سنين العمر أنشده ∴ ولست أعرف منه غير تقصيرى

وكل مغزاه أن ألقاك فى شغفى ∴ كلاهما فى مداه غير محصور

رضيت هذا الصبا قربان آونة ∴ يجيب فكرك فيها كل تفكيرى

مادمت نائية عنى ففى طربى ∴ هم وفى مرحى شتى الأعاصير

لقد دفعه حبه للحياة ، والطبيعة إلى أن يتخذ الجمال الأنثوى آية ممن آيات الألوهية فى الكون ، ثم راح يتخذ من هذا الجمال وسيلة لدفع ما استقر فى نفوس الناس من أن المرأة مخلوق شرير مثلها ، كمثل الشيطان ، وكيف تكون ذلك ؟ والحال أنها مصدر للحياة فى الكون ، ومصدر للفن ، ومصدر إيحاء للشعر إلى غير ذلك من الروافد المتنوعة التى ذكرها فى قصيدته " ملاك أم شيطان " حيث يقول [3] :

---

(١) أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر العربى - د / كمال نشأت ص ٣٣٢ .

(٢) قطرة من يراع فى الأدب والاجتماع ٢ / ١١٢ .

(٣) ديوان فوق العباب - نظم الشاعر د / أحمد أبو شادى ص ٣٦ - مطبعة التعاون ١٩٤٢ م .

الجمال الجمال فى هذه الدنيا ∴ هو الخالق الصريح المحجب

لست إلا رموزه لعيون ∴ نحت فيك نوره يتوثب

فى مثل الهدوء جلستك الحسناء لكنها شعور تلهب

جمعت حولك الطيوف فكانت ∴ كاجتماع الطيوف من حول كوكب

كل لون له معان دقاق ∴ كمعان على السماوات تنسب

أين أين الشيطان من ذلك الحسن ومنه الحياة فى الكون تنسب

ما نزعت الستار إلا وفاء ∴ حينما الفن للجمال تعصب

فيك تستأنف نشوة الفن ألوانا ∴ وما ومن نبعك المقدس نشرب

بالآى الإبداع فى ذلك الجسم فمنه الإيحاء للشعر يطلب

لم يزدنى تأملى فيك إلا ∴ صورًا من عبادة لا تخيب

وهكذا نجد الشاعر فى أثناء وصفه للمرأة يمزج حديثه بالفن ، والطبيعة فى أسلوب معبر عن اعتزازه ، وتقديره للمرأة ، وبجمالها الأنثوى الذى تغنى فيه كثيرًا لا بدافع الإثارة أو الدعوة إلى الإباحية ، ولكن بدافع الإبانة ، والكشف عن أسرار الحياة ، والطبيعة ، والفن ، وغير ذلك مما هو جدير بالتأمل ، والتذوق .

الاتجاه الوجدانى فى شعره :

والمتأمل فى شعر أبى شادى يجد الجانب الوجدانى يستأثر بكم ليس بالقليل من شعره وذلك لأنه " بدأ حياته الشعرية بالتعبير الوجدانى عن تجاربه ، وآلامه وإخفاقه فى حبه [١] ، ومن ثم ، فقد فاض دمعه ، واشتد حزنه على فقده من استهواها قلبه ، فدفعه حزنه الشديد وحسه المرهف ، ومشاعره الرقيقة ، وواقعه المؤلم على إنشاء ديوان بأكمله سماه " شعر الوجدان " بالإضافة على هذا فإن شعره يحتوى على " لمحات تنبئ بنزعة صاحبه إلى شعر الوجدان والطبيعة ، واستبطان الذات فى أسلوب لا يخلو من عبرات الموهبة الناشئة ، وبعض هذه اللمحات فى مقطوعات على نمط القصيدة التقليدية ، وبعضها فى نظام المقاطع المتغيرة القوافى [٢] ، ولعل من ابرز تلك اللمحات وأكثرها اقترابًا من روح الرومانسية الممتزجة بالطبيعة فى تحولها ، وتناقضها أبيات له عن الليل يقول فيها [٣] :

مرح الليل أى ملهى عجيب ∴ أنت تبدو للشاعر الفنان

كم مراء خلقتها وهى شتى ∴ من مديد التناقض الفتان

أنت ملقى العباد والطهر بينا ∴ أنت مجلى التهتك المتفانى

كل راء يرى الذى يشتهيه ∴ ويذوق الذى يرى من معانى

والنجوم التى تطل علينا ∴ فى حنان ورعشة واقتنان

بين حب لنا كأم رعتنا ∴ والتياع كخفق قلب الجبان

---

(١) جماعة أبولو - د / عبد العزيز الدسوقى ص ١٦٤ .

(٢) الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر - د / عبد القادر القط ص ٢٠٦ .

(٣) ديوان أنداء الفجر - نظم د / أحمد زكى ابو شادى ص ٦١ .

حبست دمعها فإن بذلته ∴ فشآبيب دمعها النوارانى

شهب تستحل من دمعها الصا ∴ فى إلى حرقة إلى صوان

فكأن الأجواء للأرض آذنت ∴ ها فحاكت طبيعة الإنسان

فحداثة شعره تتمثل فى بعض ألفاظه التى تدل على تصور جديد لليل ، والنجوم ، وعلاقة الطبيعة بالنفس من مثل وصفه لليل بالمسرح ، والملهى ، ونظرة النجوم بالحنان ، والرعشة ، فالليل عنده ليس همومًا كله ، ولا مرحًا كله ، وإنما هو خليط من التناقضات التى لا تنشأ من اختلاف سلوك الناس وحدهم ، بل من ذلك الوعى الرومانسى لما للوجدان من شأن فى إدراك الطبيعة والإحساس بها :

كل راء يرى الذى يشتهيه ∴ ويذوق الذى يرى من معانى [١]

ومن قصائده التى غلبت الرومانسية على طبيعتها ، وتجربتها وصورها قصيدته " ألحان النارنج " التى ذكر فيها شجر النارنج وأسبغ على القصيدة جوًا حالمًا حتى أصبح شجر النارنج فيها رمزًا لنبع من السعادة والحب فقال [٢] :

من عبير النارنج أصداء ألحان تمشت فى روحه العيقرى

كم غرام له تكرر فى الأعوام تكرار آية من نبى

هو نور مشعشع حينما الزهر ضياء مجسم من لحون

وقفتى تحته عبادة مشدوه وأحلام فتون الفتون

حينما أنت يا حياتى قربى كمعان شأت خيالى الجرى

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

(٢) قطرة من يراع فى الأدب والاجتماع ٢ / ١٢٨ .

وكـــان الطبيعـــة احتضنتا فأضـــافت هـــاءة للـــهنئ

ليس وهمًا تخيلي إن وجداني من الزهـــر والضـــياء الصـــريح

ليس وهما تسمعي تلك ألحان تداوى كالوصل قلـــبي الجـــريح

والفدوء السحرى تملؤه الألحـــان سمعًـــا ومنظـــرًا للقلـــوب

لا يراها وليس يسمعها إلا حبـــب مســـتلهم مـــن حبيـــب

وعلى الرغم من ثورة الشاعر على قيود القافية العربة فى هذه القصيدة إلا أننى أجد أحد الأدباء المحدثين ينوه باتجاهها الجديد فيقول : " وهى تجربة رائـــدة حقًـــا فى تاريخنا الشعرى ، فبجانب جدة موضوعها ، وموســـيقاها البعيـــدة عـــن الخطابيـــة ، وخيالاتها المبتكرة ، وتعابيرها بنت الابتداع الشخصى تتميز بروحها الرمزية ، وقـــد توفرت فيها عناصر الشاعرية التى ستعوز شعره بعد ذلك "[1] .

ولقد عرفنا أثناء حديثنا عن الشاعر أنه وقع فى غرام " زينب " ربيبة والـــده التى كانت تعيش معه فى سقف واحد ، فعلى الرغم من رفضها الزواج منـــه ، إلا أن روح حبها ظلت سارية فى أعراقه متخللة فى وجدانه الشاعرى ، فظل وفيا لهذا الحب ساكبًا قطرات أنفاسه على ذكراه ، لتظل تذيبه العود ، باسقة الجنى ، ففـــى قصـــيدته " عودة إلى زينب " يخاطبها بقوله :

نـــارى وريحـــانى وأنـــس مشـــيتى ∴ وكهـــولتى مـــن لى ســـواك رجـــاء

مضت الســـنون الحاليـــات كأنهـــا ∴ لمحـــات أخيلـــة تطيـــب جـــلاء

لم أنـــكها إلا وقلـــبى عنـــدها ∴ يســـتعذب الحرمـــان والإشـــقاء

---

(١) أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر العربى - د / كمال نشأت ص ١١٤ .

عينـــاك لم أذق الـــلاف ســـواهما ∴ فحييت فى ســـكرى صـــباح مســـاء

القـــاك والحـــب الـــدفين معـــذبى ∴ ورغـــم اللقـــاء فـــلا أراه لقـــاء

فـــإذا رحلـــت الآن جـــد بحيلـــة ∴ لتحشـــد الـــدنيا لى الأعـــداء

لا شىء بعـــد الهجـــر نـــار جهـــنم ∴ فـــالهجر أقصـــى شـــعلة وقضـــاء

وفى موضع آخر من شعره نجده يخاطبها بقوله :

زينب مـــا أحلـــى الخفـــوق الـــذى ∴ لا يـــرحم القلـــب لـــدى قربـــك

زينـــب يـــا روحـــى وريحـــانى ∴ مـــا شـــئت هـــوى حبـــك

زينـــب يـــا شمـــس يـــا بهجـــتى ∴ كـــونى كعهـــد الشـــمس فى حبـــك

كـــونى الســـنا والهـــدى والمـــنى ∴ للعـــائر الـــرانى إلى طيـــك

حســـى ووجـــدانى وكـــل الفـــدا ∴ للأكمـــل الأجمـــل مـــن دأبـــك

إن عشت لم ينسخ صـــلاتى الـــوى ∴ أو مـــت ناجـــانى هـــوى شـــربك

فمشاعره الوجدانية تبوح بشعوره الصادق ، وعاطفته المتوثبة تجـــاه محبوبتـــه " زينب " فهى روحه ، وريحانه ، وشمســـه ، وبهجته ، وملاكه ، وطهـــره ، ومحرابـــه ، وتعبده ، وغير ذلك من المعانى التى نهج فيها نهج الرومانسيين الذين اصـــطدم حبـــهم بالعقبات الكؤود فاتخذوا الطبيعة ملجأ وملاذًا للهروب مما ألم بهم من عـــذاب الحـــب ولفحة الهجر .

الوطنية فى شعره :

قيل إن محمدًا " أبو شادى " والد شاعرنا أحمد زكى أبو شادى كان وطنيًا متحمسًا ، فعندما حدثت كارثة دنشواى العظيمة كان أول المهتمين بها ، والمشايعين للأمة المصرية ، تطوع المأثور للدفاع فيها [1] .

ولعل هذا فيما أظنه كان سببًا من الأسباب التى أثرت فى تكوين شخصيته الوطنية ، فانطلق انطلاقًا عظيمًا فى ميدان الوطنية يشهد له بذلك ديوان شعره الذى جمع بين ضفافه العديد من القصائد الوطنية ، كقصيدته التى نشرها فى مجلة " الشهداء " التى تصدر فى حلب عدد أبريل سنة ١٩٥١ م يهاجم فيها فاروقًا قبل خلعه بعام ، ويشبهه بالكركدن ، وهى من بليغ شعره الوطنى حيث يقول [2] :

من دمعة الشعب ومن كده ∴ ومن دم الأمة فى نرده
تملك الخد على صفوها ∴ يا ليتها تملك من حده
كم يجعل الدين حبالاته ∴ ليخنق المصلح فى مهده
قد عضها النحس وما عضه ∴ إلا فم يرشف فى وجده
يمرغ الأمة فى رجسه ∴ ويسرق الأمة فى رنده
عاثت به وبأوشابه ∴ فى قربه الجانى وفى بعده
منتفخًا يمرح مستغرقًا ∴ فى اللهو كالصائد فى صيده
كالكركدن الذى يزدهى ∴ فى قبحه يسخر من قده

(١) جماعة أبولو - د / عبد العزيز الدسوقى ص ١٧٣ .
(٢) شعراء الوطنية فى مصر - تأليف / عبد الرحمن الرافعى ص ٣٤٠ .

لم تعطه غانية " قبلة " ∴ إلا كمن قمزاً من رشده
أو بادلته نكتبة حلوة ∴ إلا ومغزاها مدى نقده

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ م انطلق لسانه ، ليعبر عن وطنيته ، ومشاعره تجاه وطنه الحبيب الذى حيا ثورته المجيدة بقوله [1] :

بوركت يا وطنى العزيز محررا ∴ سمحًا وفى القلوب حييا
لو أستطيع كتبت شعرى من دمى ∴ حتى أزيد بشعرى الترحيا
لو أستطيع سألت كل خيلة ∴ وبعثت بالشعر المنور طيا
لو أستطيع زففت ما أنا عاشق ∴ ليكون قربانًا أعز قريا

كما ظهرت روحه الوطنية فى قصائده التى شدا بها فى سجين القلم " محمد بك فريد " حينما خاطبه بقوله [2] :

سيان كنت بنعمة أو نقمة ∴ ما دمت ترضى بالجهاد حجاكا
سيان كنت مقربًا أو مبعدا ∴ مادام حرب العابثين مناكا
وكفاك فخرًا أن تناضل دولة ∴ كم أرهقت من مصلحين سواكا
والعمر ساعات يطيب أمرها ∴ لو أن فى جسم الضلال هلاكا

كما رثاه أيضًا بقصيدة معبرة عن مشاعره الحزينة تجاه ذاك الزعيم الذى ظل مدافعًا عن وطنه حتى آخر لحظة من حياته فقال [3] :

(١) المرجع السابق ص ٣٤١ .
(٢) ديوان أنداء الفجر ص ٤٣ .
(٣) شعراء الوطنية فى مصر - عبد الرحمن الرافعى ص ٣٣٣ .

سلو (برلين) عمن حل فيها ∴ يفت كبده المرض العنيد

مضى يذهب الأيام عمرا ∴ تتم به المساعى والجهود

فلم يذهب بعلته طبيب ∴ ولم يكتب له عمر جديد

وخر على السرير وحب مصر ∴ على تبريح علته يزيد

فيا لهفى عليك وأنت كهل ∴ غريب عن أحبته بعيد

تموت فلا ترى عشواك أم ∴ ولا أخت ولا زوج ودود

ولا يروى ثراك أخ شقيق ∴ بدمعته ولا طفل وليد

وبديوانه العديد من القصائد الوطنية كـ (مصر الحضارة ، الحكم الدستورى واضطهاد الرأى ، الطيار المصرى ، ووطن الفراعنة ، كارثة دمشق ، الأسد الأسير) وغيرها من القصائد التى تكشف لنا عن معايشته لأحداث أمته العربية بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة .

الشعر القصصى والتمثيلى:

إذا كان شعراء الجماعة تفننوا فى نظم الشعر القصصى ، والتمثيلى على أوسع نطاق ، فإن أبا شادى يعد رائدًا من رواد هذه المحاولات التى جاءت لتعبر عن قدرته على احتضان التجارب المبتكرة وتعميقها ، فمن ذلك قصيدة " مملكة الليث " وهى قصيدة فلسفية ضمنها ديوان الشفق الباكى ، كما أن له شعرًا قصصيًا غيرها ومنها قصيدته " الرؤيا " التى يقول فيها :

فى ليلة من ليالى الصيف فى شغفى بروعة النجوم تلقانى

كأنما سحرتنى قوة خفيت فأرغمتنى ، وقد كانت تراقبنى

وهى قصيدة قصصية طويلة تمثل الشاعر نفسه فيها يركب طائرة ، ويلتقى بأناس غرباء ، ويرى العزيزة قد مستها يد القدرة ، فأحالتها إلى بلد راقية متقدمة فى العلوم والحضارة ، والآداب ، وقد أخبره هؤلاء الغرباء أن العلم سوف يمنح الناس السعادة ويوصلهم إلى مكتشفات عجيبة [1] .

كل هذه الآمال ، والأمانى تخيلها الشاعر حينما أطلق لأفكاره العنان ، فتركها محلقة فى الخيال تستلهم القدرة مما يأتى به الغيب ، وما ستعطيه الأيام رأى فى أحلامه أن العلم سوف يحقق للإنسانية أشياء ثمينة ، وهذه كلها أحلام ، وثمرة خيال ، ولذلك سماها " الرؤيا " .

أما شعره التمثيلى فقد خلف لنا اربع " أوبرات " إحسان وأردشير والزباء والآلهة .

ولقد قيل : إن ابا شادى " اتخذ موضوع الأوبرا الأولى من التاريخ الحديث ، والثانية من التاريخ القديم ، والأوبرا الثالثة أيضًا تاريخية ، وتدور حول قصة " الزباء " حينما فتحت مصر بقيادة " بلينيوس " القائد الأعلى لجيشها ، وتركت ابنها " هبة الله " ، واستدعت القائد الذى كان طامعًا فى الزواج منها ، ولكنها كانت تميل إلى " لونجينوس " مستشارها وصديقها ، وقد رفضت الزواج من قائدها ، ولذلك تألب عليها " بلينوس " عندما أرسل " أورليان " امبراطور الرومان حملة لتأديب الزباء ، وانضم إلى هذه الحملة التى دحرت جيوشها فى مصر ، وحطمت نفوذها فى آسيا الصغرى ، وغدت محاصرة فى " تدمر " وأخذت الزباء أسيرة إلى روما ، وهناك أفهمت الامبراطور " أورليان " أن " بلينوس " لم يحاربها إخلاصًا لروما ، وإنما انتقامًا منها ،

---

(١) النزعات الشعرية عند جماعة أبولو – أحمد عبد الله الرمى ص ٦٦ – مطبوعات نادى القصيم .

لأنها رفضت الزواج منه ، ويغضب الامبراطور عليه ، ويأمر باعدامه ، ويصفح عن الزباء ، ويعزلها فى ضيافته فتظل معززة مكرمة هى وأولادها فى مدينة " تيبور " .

أما أوبرا " إحسان " التى أخذها من التاريخ الحديث ، فقد لخصها أبو شادى بقلمه قائلاً : " أحب ضابط مصرى " أمين بك " ابنة عمه الحسناء " إحسان " ، وكان يتيمًا من الوالدين تربى معها كما تربى أخوه كمال منذ الصغر ، ثم دعى إلى الحرب المصرية الحبشية سنة ١٨٧٦ م ، فأوصى أخاه " كمالاً " خيرًا بحبيبته التى كانت يتيمة من الأم ، كما أوصاه بالزواج منها إذا مات ، وأوصاها بذلك أيضًا .

وفى أثناء الحرب المشئومة التى نكب فيها الجيش المصرى بدور عظيم من الشجاعة ، أسر فيه ، ومات من معه من رفاقه ماعدا صديقه الضابط " حسن بك " الذى أشاع كذبًا ، وخداعًا بأنه مات بينما كان يعرف الحقيقة التى كتمها طمعًا فى نيل " إحسان " خطيبة " أمين بك " حيث كان قد عرفها بواسطته ، باعتباره صديقه الحميم ، ولم تمنع ذلك التقاليد الأرستقراطية حتى فى ذلك العهد ، ثم يفر حسن بك على أثر إحدى المعارك الخطيرة هاربًا إلى مصر من ويلات الحرب مستترًا ، فيصل إليها بعد زمن طويل عن طريق السودان ، ويجد " إحسان " قد تزوجت " كمالاً " فينقم عليه " حسن بك " ويدبر تسممه تدريجيًا ، ويصاب " كمال " أيضًا بالسل من صغره ، فيعجل المرض بموته ، ولكن بعد أن يعدى " إحسان " بمرضه ، ثم يخلص " أمين بك " من أسره فى الحبشة بعد خمسة أعوام تقريبًا ، ويعود إلى مصر ، فيعلم من بعض رفاقه ، ومن خادمه القديم " الحاج رضوان " بجناية صاحبه " حسن بك " الذى أذاع النبأ الكاذب عنه ، مع أنه رأى " أمين بك " يؤسر أمام عينيه بينما هرب هو ، ونجا بحياته تمامًا العدو ، ويعلم " أمين بك " أيضًا أنه قبض على صاحبه هذا الخداع بعد أن افتضح أمره أخيرًا للتحقيق معه كفارّ من الجيش ، ومجرم ، ثم يدرك " أمين

بك " محبوبته " إحسان " فى النزع الأخير فتصيح صيحة الدهشة والفرح يلقانه وتموت " [1] .

ومن أمثلة هذه الأوبرا الشعرية قوله :

(الضباط المصريون ينشدون بجوار خيمة القائد العام) :

نحن يا مصر الفدا ∴ ولنا فخر الفداء
نيلك الوهاج تير ∴ ليس صلصالاً وماء
شهده أهل لتقديس وبه ∴ عذل الشهداء
وثراك العسجدى ∴ كنز معتز الثراء
جنة قد باركتها ∴ نفحات الأنبياء
أنت دنيا وأخرى ∴ لبنيك الأوفياء [2]

(قائد الجيش " راتب باشا " يقبل وخلفه حارسه الخاص فيجيبه الضابط) :

يا رجالى يا رجالى ∴ نحن فى الحرب الإباء
ما أتينا قصد عصف ∴ رغم إهراق الدماء
بل لنحمى حق مصر ∴ من جحود واعتداء
كل جبار نعادى ∴ غير جبار السماء
برهنوا برهان صدق ∴ أنكم رمز الولاء [3]

---

(١) جماعة أبولو - د / عبد العزيز الدسوقى ص ٥٤٠ .
(٢) أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر - د / كمال نشأت ص ٣٦٠ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٦١ .

ونكتفى بهذه النماذج التى أتينا بها على سبيل الاستدلال على براعة شاعرنا ، وقدرته على إدخال هذا الغرض على شعرنا العربى ، واتخاذه كوسيلة لتوديع ما فى نفسه من ألم وحزن ، وسكب ما يضطرم فى وجدانه من لوعة وأسى وظمأ وحرمان .

الخاتمة

لقد ظل شعرنا العربى طيلة عصور الانحدار ، والانحطاط يرسف فى أغلال الزخارف اللفظية ، والتضمين ، والتشطير ، وغير ذلك مما حفلت به حينذاك الأجواء العربية من نقيق النظامين ، ومهارات العروضيين الذين عكفوا على اللعب بالمحسنات البديعية ، وإنفاق قدراتهم فى نظم الألغاز ، وتلفيق التواريخ فى نسج مهلهل ، وعبارات ركيكة حتى دبت فيه روح القوة ، والنماء على يد رائد مدرسة البعث ، والإحياء الشاعر محمود سامى البارودى الذى عاد بفطرته السليمة ، وموهبته الموفقة إلى الينابيع الصافية لتراثنا العربى التليد ، فاستحدث من عصور ازدهاره لغة التعبير عن نفسه ، وعن عصره ، وبذلك أعطى لشعره إمكانية التجدد ، والنماء فى صحة الأسلوب وصدق العاطفة .

وإذا كانت معارضته لفحول الشعراء السابقين تعد لونًا من ألوان تجديده ، وثمرة من ثمار موهبته الخلاقة ، وقدرته المبدعة على المحاكاة دون أن تروى شخصيته فى دنيا السابقين ، فإن مظاهر تطوره ، وتجديده تبدو لنا أكثر وضوحًا فى قدرته على الجمع بين القديم ، والجديد ، ثم إخراجه كائنًا جديدًا نقرأ فيه جلال القديم ، وجمال الجديد ، كما هو واضح فى ثنايا وصفه لبعض مظاهر الطبيعة الفاتنة ، وفى وصفه لبعض الأجناس البشرية ، وفى حماسته ، وهجائه ، وغير ذلك مَن الموضوعات الشعرية التى استنبطنا منها مظاهر التطور ، والتجديد فى شعره .

ثم وجدنا التواصل الفكرى يمتد من مدرسة البعث ، والإحياء إلى المدرسة الاتباعية (الكلاسيكية) الجديدة التى رادها أمير الشعراء أحمد شوقى ، فأكمل بريادته رسالة أستاذه محمود سامى البارودى ، فبعد أن أشبع أذنيه من موسيقا فحول الشعراء

السابقين راح يعارضهم كما عارضهم أستاذه من قبل ، ويترسم خطاهم أثناء نظمه بعض الفنون الشعرية التقليدية .

ولكن ترسمه هذا لم يكن حائلاً بينه ، وبين تطوره وتجديده الذى لمسناه فى بعض فنونه الشعرية ، وبخاصة بعد أن أعانته بعثاته العلمية ، ورحلاته على التزود من ينابيع الثقافة الأوربية ، ومطالعة بعض الآداب الغربية ، فنأى بشعره عن الاحتذاء والتقليد ، وراح يحلق فى سماء التطور ، والتجديد ، فرأيناه فى وصفه يكتنه أسرار الطبيعة ، ويغوص فى أعماقها ، ويوظف شعره فى وصف ما استحدث فى عصره ، وفى وصف بعض الآثار الفرعونية التى وقفت شامخة وشاهدة على بطولاتهم ، وقدراتهم الخلاقة ، وكذلك فى وطنياته التى امتزجت عواطفه ومشاعره فيها بعواطف ، ومشاعر أبناء وطنه ، وبخاصة بعد عودته من منفاه لم يألُ جهدًا فى التعبير عن آلام أمته وآمالها ، والإشادة بأبطالها وقادتها ، وزعمائها ، وغير ذلك من المعانى التى أشعرتنا أن وطنيته لم تكن وليدة العصر ولا أحداثه .

كما وصل شعره الوطنى بشعره الاجتماعى الذى اتخذه أداة للتعبير عن قضايا أمته ، ثم راح يمتح من التاريخ الإسلامى ، ومما احتوى عليه من سير العظماء ، والأفذاذ ، ليكشف من خلاله عن مآثر الأجداد وبطولاتهم الفائقة التى ضرب بها المثل فى الجهاد ، والنضال من أجل معركة الشرف والحرية .

وتلوح فى الأفق الأدبى مدرسة الديوان روادها الذين تسلحوا بالثقافة العربية ، والأوروبية تسلحًا واسعًا ، ومنفتحًا إلى التطور والتجديد ، ويتأثرون بالمدرسة الرومانسية التى طبعت وجدانهم بطابع التشاؤم ، والإحساس العميق بمأساة الحياة.

ولقد اتضح لنا من واقع حديثنا عن بعض هؤلاء الرواد أن العقاد كان أقواهم حجة وأكثرهم إصرارًا على توطيد أركان دعوته التى أعلنها مع صاحبيه ، ومن هنا

جاء استهلالنا بالحديث عنه ، وعن آرائه ، ومقالاته الأدبية ، والنقدية التى دعا فيها الشعراء إلى اجتناب التقليد ، والصدق فى التعبير ، وعد الشاعر الذى يعبر عن شعوره ، ويصدق فى تعبيره شاعرًا مجددًا ، وإن تناول أقدم الأشياء ، ومن هنا جاء تطوره ، وتجديده فى بعض الأغراض الشعرية القديمة التى أحبها ، وآثرها ، ومزج بينها وبين عواطفه ، ومشاعره ، فها هو ذا يطير على جناح الكروان فى وصفياته ، ويصدق فى مشاعره الوطنية أثناء مدحه لمن أحبه من القادة ، والزعماء وعلى الجانب الآخر يسكب عبراته ، وتبوح عواطفه بمشاعر الأسى ، والحزن عند فقدهم .

كما كشف لنا هذا البحث عن تطويره وتجديده فى شعره التأملى ، فبدت لنا معالم تمرده ، وقلقه ، وتشاؤمه ، وغير ذلك من العوامل النفسية التى اكتسبها من تأثره بشعراء الرومانسية تارة ، ومن واقعه المؤلم تارة أخرى .

أما شعر الحياة اليومية ، فقد أفاض عليه من خياله وأضفى عليه من تأملاته ما جعله موضوعًا من الموضوعات المستحدثة فى شعره .

ومع التزامه الملحوظ بعروض الخليل فى معظم نتاجه الشعرى ، إلا أن هذا البحث كشف لنا عن استخدامه بعض البحور القصيرة ، والمجزوءة مع التنويع فى القافية .

وبالوقوف مع الرائد الثانى فى هذه المدرسة تبين لنا أن الشاعر المجدد عبد الرحمن شكرى رفض الاحتذاء ، والتقليد فى الشعر كما رفض أيضًا بعض الموضوعات الشعرية المستحدثة ، كالشعر السياسى ، وشعر المخترعات ، واعتمد فى تجديده على الشعر الذى يخاطب القلوب ، ويرقصها ويمتزج بالعواطف ، والمشاعر ، ويصدق أثناء تعبيره عنها ، وهذا ما لمسناه فى تصويره للشمس وأشعتها ، والطيور ، وتغريدها ،

ومياه الشلالات ، وأصواتها ، وغير ذلك من المفردات التى ربط بينها ، وبين عواطفه وأحاسيسه .

كما كشفت لنا بعض نماذجه الشعرية عن تشاؤمه الذى اتخذه عقيدة وسلوكًا ، ومذهبًا ، فحرم على نفسه الاستمتاع بملذات الحياة ، واستعذب الشعر الذى يعبر عن نظراته المتشائمة كالأزاهير السوداء ، وضوء القمر على القبور ، وكان القبر ، ووحشته ، وظلمته أهدأ بالاً وأكثر سعادة فى رأيه من الحياة ، وأوزارها .

بالإضافة إلى هذا ، فقد دفعه التأمل فى الحياة ، ومساوئها إلى السخرية والاستهزاء بالأحياء ، والكشف عن عيوبهم .

وعقب حركات التطور ، والتجديد التى تزعمتها مدرسة الديوان تنعم الحياة الأدبية بجماعة أبولو ، ومجلتها التى أصبحت نافذة لما تجود به قرائح الأدباء ، والشعراء .

وعلى الرغم مما أثر عن هذه المدرسة من كثرة شعرائها المشهورين ، إلا انى فضلت الحديث عن الشاعر الدكتور أحمد زكى ابو شادى ، لأنه كان موسوعة شعرية ، وكان نتاجه أكبر من أن يحتويه مذهب شعرى بالإضافة إلى هذا ، فإن معظم شعراء هذه المدرسة فيما أظن نهجوا النهج نفسه الذى صار عليه رائدهم الأول ، ولقد تبين لنا من واقع مطالعتنا لحياته ، ونشأته أن ثقافته المتنوعة بالآداب العربية ، والغربية كانت سببًا فى ريادته ، وطلاقته الفنية ، وتجديده فى مختلف الموضوعات الشعرية القديمة والحديثة

ففى وصفه لم يعتمد كما اعتمد غيره على المظهر الخارجى للمنظر الموصوف ، بل راح يتغلغل فى أعماقه ، ويخلع عليه من عواطفه ومشاعره ما يجعله فنًا جديدًا فى شعره .

كما كشف لنا هذا البحث أيضًا عن شعره الوجدانى الذى استأثر بالعديد من قصائده التى أضفى عليها برومانسيته ، وصدق شعوره ، وحرارة عاطفته سمة من سمات التطور ، والتجديد بالإضافة إلى هذا ، فقد جاء شعره الوطنى معبرًا عن وطنية ، وحبه للوطن ، وقادته الذين ضحوا بأنفسهم من أجل عزته وكرامته .

ثم نجده يشب وثبة قوية فى ميدان التطور ، والتجديد بشعره القصصى ، والتمثيلى الذى شهد بقدرته الخلاقة على احتضان هذه التجارب المبتكرة فى عصره .

وحسبنا هذه الخاتمة الوجيزة عن هذا البحث المتواضع راجيًا أن تكون هذه الدراسة حلقة فى سلسلة الدراسات الأدبية الحديثة المتصلة الحلقات ، والتى كان لها دور بارز فى إظهار العديد من الاتجاهات الفنية الجديدة التى وسمت شعرنا العربى الحديث بسمات التطور والتجديد ، والله هو الموفق للصواب إنه نعم المولى ونعم النصير .

فهرس المصادر والمراجع

١ - أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر العربى - د / كمال نشأت - مطبعة دار الكتاب العربى .

٢ - أخبار الشعراء المحدثين - لأبى بكر الصولى - نشر هيورث مطبعة بيروت .

٣ - الأدب العربى الحديث - د / محمد عبد المنعم خفاجى - مطبعة مكتبة الكليات الأزهرية .

٤ - الأدب العربى المعاصر فى مصر - د / شوقى ضيف - مطبعة دار المعارف بمصر .

٥ - الأدب المقارن - د / محمد غنيمى هلال - مطبعة دار العودة ببيروت .

٦ - أضواء على الأدب العربى المعاصر - د / أنور الجندى - مطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة .

٧ - أعلام الشعر العربى الحديث - أحمد شوقى وآخرين - مطبعة منشورات المكتبة التجارية بيروت .

٨ - الأغانى - لأبى الفرج الأصفهانى - مطبعة دار الثقافة ببيروت .

٩ - البارودى رائد الشعر العربى الحديث - د / محمد عبد المنعم خفاجى - مطبعة دار المعارف بمصر .

١٠ - تاريخ الأدب العربى الحديث - للأستاذ / مندقيش - مطبعة دار الجيل ببيروت .

١١ - تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى - د / شوقى ضيف - مطبعة دار المعارف بمصر .

١٢ - تاريخ الأدب العربى : العصر العباسى الأول - د / شوقى ضيف - مطبعة دار المعارف بمصر .

١٣ - تاريخ آداب اللغة العربية - جورجى زيدان - مطبعة دار مكتبة الحياة ببيروت .

١٤ - تاريخ المعارضات فى الشعر العربى - د / محمد محمد قاسم - مطبعة دار الفرقان بالأردن سنة ١٤٠٣ هـ .

١٥ - جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث - د / عمر الدسوقى - مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٦ - جماعة الديوان - د / يسرى محمد سلامة - مطبعة مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية .

١٧ - حصاد الهشيم - د / إبراهيم عبد القادر المازنى - مطبعة دار الشروق .

١٨ - حافظ وشوقى - د / طه حسين - مطبعة دار البحوث العلمية بالكويت .

١٩ - الديوان فى الأدب والنقد - للأستاذ / عباس العقاد والمازنى - مطبعة دار الشعب ببيروت .

٢٠ - ديوان أبى الطيب المتنبى - شرح العكبرى - مطبعة دار المعرفة ببيروت .

٢١ - ديوان أشعة وظلال - د / أحمد زكى أبو شادى - مطبعة الشباب ١٩٣١ م .

٢٢ - ديوان أطياف الربيع - د / أحمد زكى أبو شادى - الطبعة الأولى ١٩٣٣ م .

٢٣ - ديوان أعاصير مغرب - للأستاذ / العقاد - مطبعة دار العودة ببيروت .

٢٤ - ديوان أنداء الفجر - د / أحمد زكى أبو شادى - مطبعة دار التعاون .

٢٥ - ديوان البارودى - تحقيق / على الجارم ومحمد شفيق معروف - مطبعة الهيئة المصرية العامة .

٢٦ - ديوان البحترى - شرح د / يوسف الشيخ محمد - مطبعة دار الكتب العلمية ببيروت .

٢٧ - ديوان الخشاب - نظم / إسماعيل الخشاب - مطبعة الجوائب بالآستانة ١٨٨٢ م .

٢٨ - ديوان من دواوين العقاد - نظم / العقاد - مطبعة دار العودة ببيروت .

٢٩ - ديوان هدية الكروان - للأستاذ / العقاد - مطبعة دار العودة ببيروت .

٣٠ - رواد التجديد فى الشعر العربى الحديث - د / أنس داود - مطبعة مكتبة عين شمس .

٣١ - السخرية فى أدب المازنى - حامد عبده الهوال - مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٢ - السياسة فى العصر الأموى - د / أحمد الحوفى - مطبعة دار نهضة مصر .

٣٣ - شاعرية العقاد فى ميزان النقد الحديث - د / عبد الحى دياب - مطبعة دار النهضة المصرية .

٣٤ - شرح ديوان عنترة - للخطيب التبريزى - مطبعة دار الكتاب العربى ببيروت .

٣٥ - شعراء مصر وبيئاتهم - للأستاذ العقاد - مطبعة دار نهضة مصر .

٣٦ - الشوقيات - نظم / أحمد شوقى - مطبعة دار الكتاب العربى ببيروت .

٣٧ - شوقى شاعر العصر الحديث - د / شوقى ضيف - مطبعة دار المعارف بمصر .

٣٨ - عباس محمود العقاد ناقدًا - د / عبد الحى دياب - مطبعة الدار القومية ١٣٨٥ هـ .

٣٩ - عبد الله النديم خطيب الثورة - د / على الحديدى - مطبعة المؤسسة المصرية العامة .

٤٠ - عجائب الآثار فى التراجم والأخبار - [illegible] محمد جوهر ود / عمر الدسوقى - مطبعة [illegible]

٤١ - عشر قمم أدبية - ممدوح حقى [illegible] البيضاء .

٤٢ - فصول فى الشعر ونقده د / [illegible] المعارف بمصر .

٤٣ - مدارس الشعر العربى فى العصر الحديث / صلاح الدين عبد التواب - مطبعة السعادة .

٤٤ - مدرسة أبولو الشعرية فى ضوء النقد الحديث - د / سعد فشوان - مطبعة دار المعارف بمصر .

٤٥ - المسرحية فى شعر شوقى - محمود حامد شوكت - مطبعة المقتطف ١٩٤٧ م .

٤٦ - من الأدب الحديث فى ضوء المذاهب الأدبية والنقدية - د / على صبح - مطبعة المريخ بالرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٤٧ - النزعات الشعرية عند جماعة أبولو - أحمد عبد الله اليحى - مطبوعات نادى القصيم .